تذكُرنَ حيفا..

זוכרות את חיפה

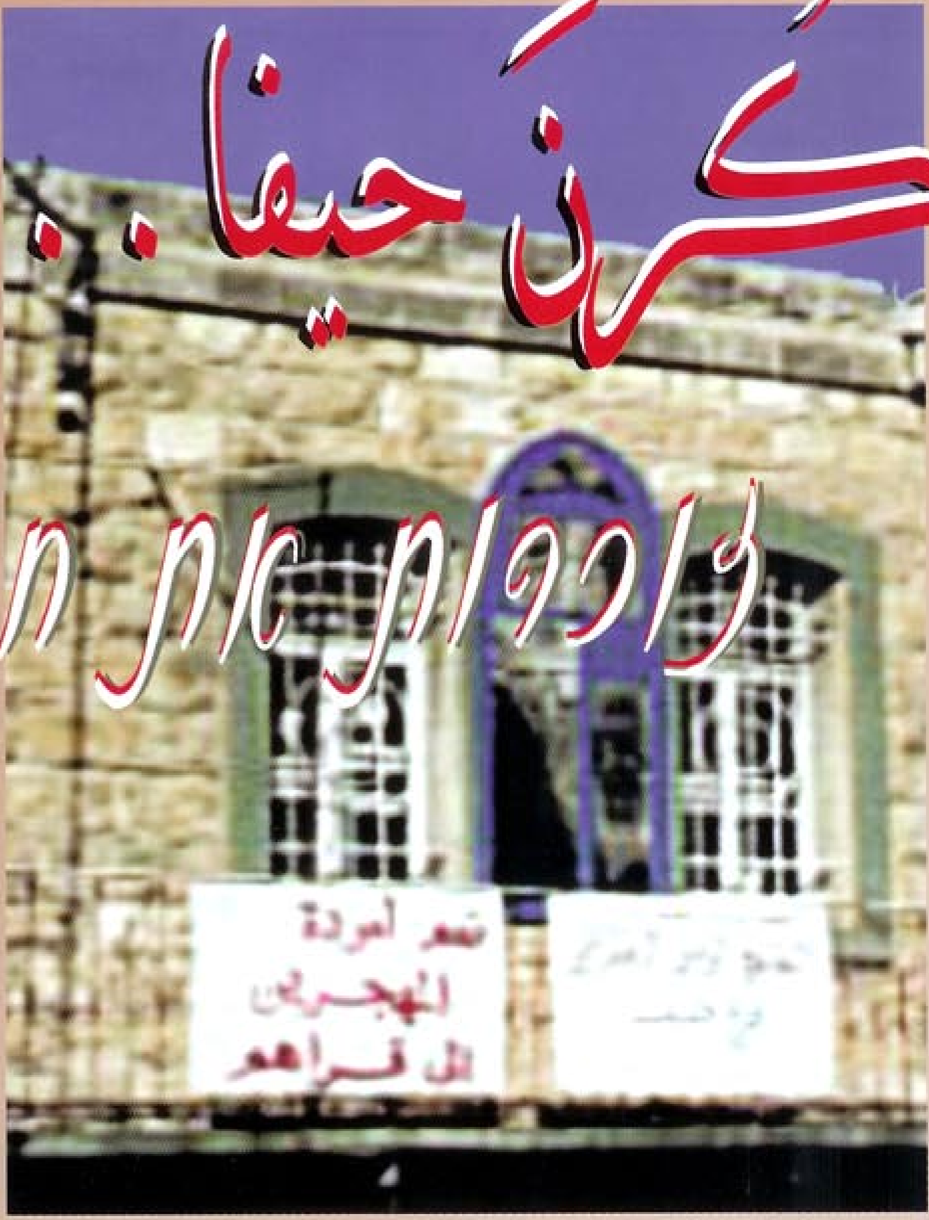

כן לשיבת העקורים והפליטים

שלט בחלון בית בואדי נסנאס

نعم لعودة المهجرين واللاجئين

لافتة معلقة بشباك في حيّ وادي النسناس

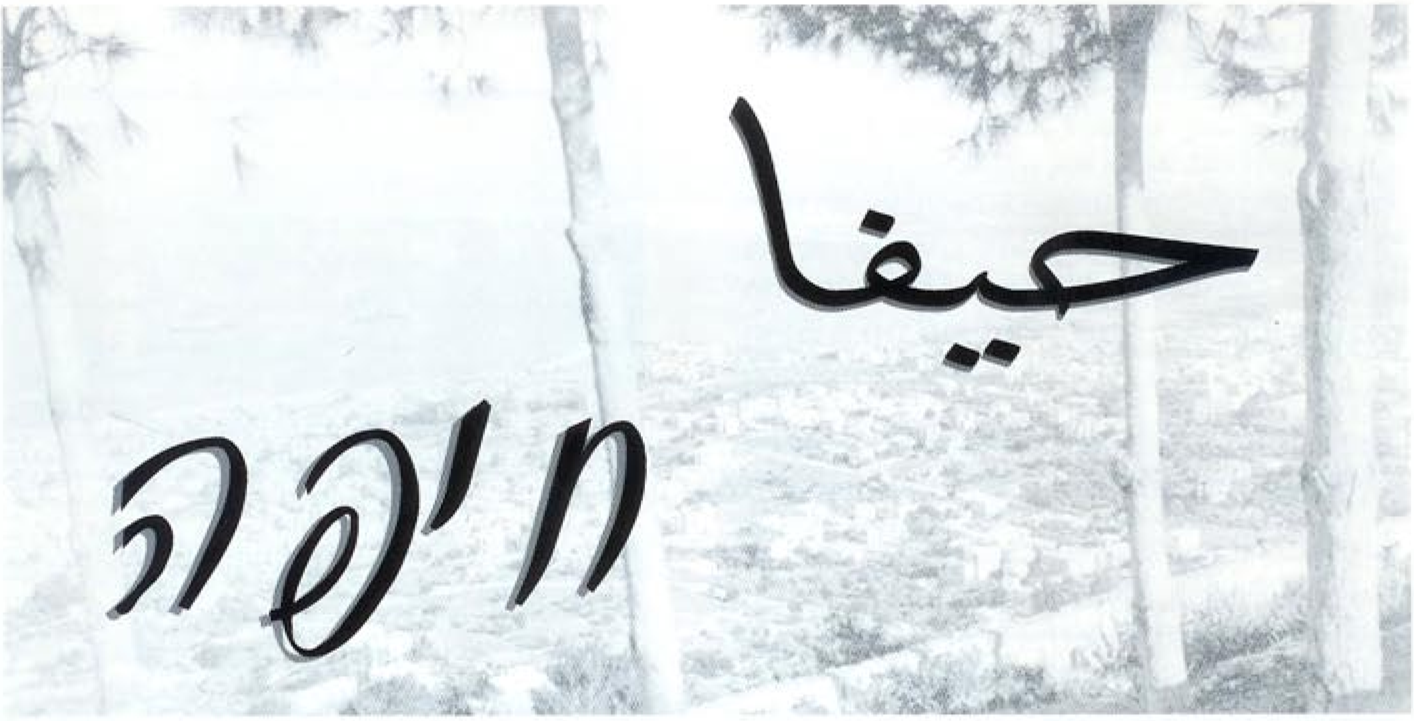

حيفا
חיפה

تخونني الذاكرة وافقدها يوما بعد يوم، وقد ياتي يوم اسود فأجد نفسي بلا ذاكرة. مجرد جسد يتحرك الى لا مكان. اهيم في الشوارع والغابات الى ان يعثر علي صياد كان يوما رفيق طفولة. فأخذ الحياة على علاتها واستقى منها فرحان فصان ذاكرته. ويمسك بيدي. انا الذي ناطح طواحين الهواء. ففقد ذاكرته وصار لا شيء. تماما لا شيء. ويأخذني الى البيت الذي ولدت فيه ويسلمني الى اهلي. ويعود هو الى اهله ليحدثهم عن شيخ فقد ذاكرته ويقول متفاخرا امامهم: لولاي لأكلته الضباع.

ستأكلنا الضباع ان بقينا بلا ذاكرة ستأكلنا الضباع.

سلمان ناطور

בוגד בי זכרוני. יום אחר יום, אני מאבד אותו.

אני חושש שיבוא יום שחור ואמצא את עצמי ללא זיכרון. סתם גוף משוטט לשום מקום. תועה בשדות וביערות עד שימצא אותי חבר ילדותי. והוא קיבל את החיים כמו שהם ומהם שאב את השמחה ובכך שמר על זכרונו. הוא יאחז בידי. אני זה שנלחם בטחנות-הרוח. עד שאיבדתי את זיכרוני והפכתי לכלום. ממש כלום. וייקח אותי לבית שנולדתי בו וימסור אותי למשפחה שלי. והוא יחזור למשפחתו לספר להם על שייח' שאיבד את זיכרונו ויאמר להם בגאווה: "אילולא הבאתי אותו, הצבועים היו טורפים אותו." עוד יטרפו אותנו הצבועים אם נישאר ללא זיכרון. יטרפו אותנו הצבועים.

סלמאן נאטור

المقدمة

هذا الكتيب الذي بين أيديكم ليس كتيب ذكرى, وبالتأكيد ليس"تخليدا" بالمعنى المعروف. وليس كراسة إرشاد أو بحثا أكاديميا تاريخيا. أنة تجربة دراسية (باللغة العبرية) عن النكبة الفلسطينية.

جمعية "تذكرن" ترغب بتلاقي الجمهور الإسرائيلي وعلى الأخص الإسرائيلي اليهودي, مع النكبة الفلسطينية وان تفعل ذالك بالعبرية.

هدفنا أن نلقي الضوء على بقعة مظلمة ومكتومة في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني والتي تشكل فصلا أساسيا وجذريا في الصراع. ما دام الجمهور الإسرائيلي والقيادة الإسرائيلية لا يدركون فحوى النكبة ولا يعون نصيب إسرائيل في حدوث واستمرارية الكارثة الفلسطينية لا يمكن أن يكون حل حقيقي لهاذ الصراع المتجذر والطويل ولن يتم صلح حقيقي بين الشعبين.

لذا, ترى الجمعية أهمية كبرى بمتابعة نشاطاتها في مسار دراسة وتعارف إسرائيلي وخاصة إسرائيليين يهود مع الحدث الأساسي ألا وهو النكبة.

הקדמה

החוברת הנמצאת לפניכם אינה חוברת זיכרון, בוודאי לא במובן המוכר של "הנצחה". זו גם אינה חוברת הדרכה או מחקר אקדמי היסטורי. החוברת הזו היא חווית לימוד בעברית על הנכבה הפלסטינית.

עמותת "זוכרות" מבקשת להפגיש את הציבור הישראלי היהודי, עם הנכבה הפלסטינית ולעשות זאת בעברית.

מטרתנו היא להאיר על נקודה חשוכה ומושתקת בסכסוך הישראלי פלסטיני אשר מהווה נדבך בסיסי ושורשי לסכסוך. כל עוד לא יבין הציבור הישראלי וההנהגה הישראלית את משמעות הנכבה ואת מקומה של ישראל בהיווצרותו והמשכיותו של האסון הפלסטיני לא יוכל להיות פתרון אמיתי לסכסוך העמוק ורב השנים ולא יוכל להתקיים פיוס אמיתי בין העמים.

לכן רואה העמותה חשיבות רבה ללוות את פעולותיה בתהליך לימוד ומפגש של ישראלים עם האירוע המכונן שהוא הנכבה.

تجميع المواد كتابة واعداد: أيريس بار, وسيم بيرومي, رنين جريس, ندى متى, يورام بارحاييم, د. جوني منصور.

ترجمة: طوني حداد, رنين جيريس, وسيم بيرومي, ايريس بار, ندى متى.

اخراج فني: ايريس بار

איסוף חומר כתיבה ועריכה: איריס בר, ואסים בירומי, רנין ג'ריס, נדא מתא, יורם בר-חיים, ד. גוני מנסור

תרגום: טוני חדאד, רנין ג'ריס, ואסים בירומי, איריס בר, נדא מתא.

עיצוב גראפי: איריס בר

@all rights reserved to those who were expelled from their homes

لمحة قصيرة حول تاريخ حيفا

اسم مدينة حيفا مشتق من اسم قرية كنعانيه كانت تدعى "الحيفاه" (أي - القريبة) وكانت تقع عند أقدام جبال الكرمل. ودعيت القريه في العهد الروماني "أيفا" وأطلق عليها الصليبيون اسم "كيفاس" أو "سيكامينون" (التوت البري). يجدر الذكر أن خلال تلك الفترة، وبالذات في عصر المماليك الاسلامية والفترة الأولى للامبراطوريه العثمانية لم تكن حيفا أكثر من ضاحية جانبية، بينما مدينة عكا وميناؤها، الواقعة في خليج طبيعي، كانت تشكل مركزا للتجارة والسلطة.

اقيمت حيفا العصرية، في موقعها الحالي، بشكل منظم في القرن الـ18 على يد ضاهر العمر [1]، حاكم فلسطين، كمدينة ساحلية تضاهي عكا، والتي كانت تحت الحكم العثماني. اهتم ضاهر العمر ببناء المنشآت الأساسية ليجعل البلدة مدينة مركزية: سوق، مسجد، كنيسة، محكمة، مناطق سكنية وسور. احتلت المدينة لفترة قصيرة عام 1799 على يد قوات نابليون، ثم انتقلت الى سيطرة أحمد باشا الجزار، وفي عام 1840 عادت للحكم العثماني المباشر.

بدأ تطوير الميناء في النصف الثاني من القرن الـ19 من قبل شركة تجارة روسية (1859) وبعد ذلك، عام 1908, من قبل السلطات العثمانية. في عام 1905 بني شارع يصل بين حيفا وطبريا واوصلت المدينة بشبكة سكة حديد الحجاز، الموصلة من دمشق الى الحجاز. وتطورت المدينه في ظل الانتداب البريطاني بشكل سريع وتحولت الى مركز تجاري، مركز للحكم، ومركز للصناعة. في 1919 تم ايصال المدينة الى السكة الحديدية المؤدية الى القاهرة.

بنيت في المدينة معامل لتكرير النفط العراقي الخام ونقله الى أوروبا. تم تطوير ميناء حيفا بقيمة 1.25 مليون ليرة فلسطينية لكي يتم ايصال النفط، واعترف به كميناء عميق عصري والذي احتل مكانة ميناء بيروت كميناء مركزي يخدم فلسطين، الأردن، العراق وسوريا [2]. تم بناء مطار في المدينة - أحد المطارات الثلاثه في البلاد، والذي شكل محطة للمسافرين من لندن الى بومبي.

تحويل المدينة الى مدينة ميناء ومركز صناعي أحدث تغييرات على نمطها السكاني على أصعدة مختلفة. في بداية القرن الـ19 بلغ عدد سكان حيفا 4000 نسمة - جميعهم عرب. ازدياد تطور المدينة سبب هجرة داخلية إليها. الهجرة من القرية الى المدينة، عامةً، تؤدي الى جذب الرؤوس المفكرة والفعالة في المجتمع. لذلك، أتت الهجرة بالشباب والعائلات من كافة أنحاء البلاد. عام 1869 استوطن فلاحون ألمان من ال"تمبلر" في المدينة، وأقاموا الضاحية التي تدعى حتى يومنا "حيّ الألمانية". في سنة 1880، قبل نشوء الحركة الصهيونية، بدأت حركة استيطان يهودية في المدينة، معظمها من شرق أوروبا، وأيضًا استيطان أوروبي الذي أتى بفعل العوامل التجارية في المدينة.

وازداد عدد سكان حيفا خلال فترة الانتداب البريطاني من 20000 نسمة سنة 1920 الى 144000 نسمة في سنة 1948.

جلب هذا الانتعاش معه انتعاشًا اجتماعيًا وفكريًا. افتتحت في المدينة عشرات نوادي شباب ونواد ثقافية ورياضية، في فترة الحكم العثماني وحكم الانتداب. والأكثر شهرة فيها هي: النادي الأرثوذكسي، نادي الأرض، النادي العربي الكاثوليكي، النادي اللاتيني، جمعية الشبان المسلمين، الجمعية الاسلامية، الجمعية المسيحية، جمعية النهضة الاقتصادية العربية وغيرها... ومن بين النوادي الرياضية البارزة يمكن ايجاد "نادي الشبان العربي", "النادي الاسلامي", "نادي الرياضة الأرثوذكسي", "نادي الترسانه" وغيرها... واقيمت في نطاق هذه النوادي فرق كرة قدم، كرة سلة، ملاكمة وحتى مباريات السفن الشراعية.

أقيمت في المدينة مدارس حكومية وأهلية، من بينها مدرسة سانت لوكس، السلزيان، مدرسة "البرج"، راهبات الناصرة (موجودة حتى اليوم)، مدرسه الفرير وغيرها... خرّيجو هذه المدارس زادوا من حدة النهضة الفكرية والاجتماعية في المدينة.

ظاهرة أخرى يجدر ذكرها، هي ظاهرة الصحافة والمجلات الفكرية التي انتشرت في حيفا، والتي رافقتها حركة من النقد الفكري، وترجمت لأهم المنشورات الأدبية العالمية. المجلات والجرائد الأولى من بين هذه المنشورات صدرت حتى أواخر الحكم العثماني، ومنها: "مجلة النفائس" وتم تحريرها عام 1909 على يد خليل بيدس، وجريدة "الكرمل" والتي أصدرها نجيب نصار، والذي لقب - وبحق - شيخ الصحافيين الفلسطينيين، وجريدة "النفير"... وفي ظل الانتداب البريطاني صدرت بضع مجلات منها "الزهرة"، "الزهور"، "اليرموك"، "السمير" والخ. في سنة 1944 تأسست جريدة "الاتحاد" التابعة للحزب الشيوعي والتي حررها اميل توما، التي تصدر الى يومنا هذا [3].

- في بداية تضعضع الامبراطورية العثمانية في القرن ال 18، بدأ حكام ونشيطون محليون باقامة مناطق حكم ذاتي مستقلة عن العاصمة اسطنبول (جرت هذه المحاولات في لبنان، فلسطين، مصر- حيث كان حكم محمد علي باشا هو الأنجح، الى أن أسقط عام 1925 على يد انقلاب الضباط الأحرار). في فلسطين تمرد الشيخ ضاهر العمر الزيداني وأبناؤه سنة 1775 ضد الحكم العثماني، وحكموا، وفقا للتقاليد القبلية، مناطق مختلفة في البلاد لمدة 80 سنة، الى أن أسقطوا على يد أحمد باشا الجزار, وامتد حكمه من جبل عامر في الشمال الى جبال القدس في الجنوب، ومن البحر في الغرب الى جبال عجلون في الشرق.
- إعترف به كأكثر ميناء عصرية في حوض البحر المتوسط، حيث فاقه ميناء مرسي الفرنسي فقط.
- د. جوني منصور. "حيفا في نهضتها الفكرية زمن الانتداب البريطاني"، مجلة الجيل الجديد، 2000، ص 21-31.

كانت حيفا من المراكز السياسية الفلسطينية الحديثة، بحيث كانت تمثيل سكاني لكل الفعاليات الاجتماعية والاحزاب السياسية في المدينة. نشأت في المدينة اثنتين من أهم الحركات الفلسطينية الناشطة في فترة الانتداب والأكثر تأثيرًا: الحركة النقابية الفلسطينية ، وحركة "أخوان القسام" [4].

الحركة النقابية الفلسطينية نشأت بين العمال العرب في المدينة بتأثير الحزب الشيوعي، كرد على منظمة "الهستدروت" الصهيونية، والتي عملت منذ تأسيسها عام 1920 تحت شعار توفير شروط عمل أفضل ومنح رواتب أعلى للعمال اليهود من جهة، وشعار "العمل العبري" والذي يهدف الى طرد العمال العرب من العمل (يزبك، 2000). والجدير ذكره أنه خلال العشرينات نشطت نقابات عماليه عربية يهودية (تحت هيمنة الحركة الصهيونية) وحتى نضالات عمال مشتركة بهدف تحسين الرواتب وشروط العمل. وتوقفت هذه الظاهرة منذ الثلاثينات، ونشطت ايضا " جمعيه العمال العربيه الفلسطينيه" المستقله بواسطه امينها النقابي سامي طه.

حركة "أخوان القسام" أقيمت على يد الشيخ عز الدين القسام [5]، والذي شغل منصب امام المسجد المركزي في حيفا في العشرينات- "مسجد الاستقلال"، وبمنصبه هذا ساهم كثيرًا في مد يد العون للمحتاجين ، والذين كانوا في غالبيتهم من الفلاحين الفقراء الذين طردوا من أراضيهم في المناطق الريفية، وعانوا من البطالة بسبب نهج معاملة الحركة الصهيونية لهم. حث بهم القسام على الجهاد ضد الاحتلال البريطاني والاستيطان والتوسع الصهيوني(جبارة، ص 18). وفي عام 1934 انتخب عز الدين القسام ليكون رئيسًا لجمعية شبان حيفا العرب. في تلك الفترة، كان نضال الأحزاب الوطنية الفلسطينية يقتصر على الاحتجاجات، المظاهرات والاضرابات، وأيضًا المؤتمرات والاجتماعات والتوجه الى جهات دولية. حث عز الدين القسام على النضال المسلح ضد المحتل البريطاني والحركة الصهيونية كسبيل للنضال الوحيد، لكنه انتظر الوقت الملائم للبدء بنضال مسلح، وعمل بهدف بناء تنظيم أقوى في صفوف القرويين وسكان المدن (جرار، ص 121-120).

انكشاف أمر تسلح الهاغاناه في وقت مبكر [6]، دفع الشيخ القسّام للاشهار عن النضال المسلح ضد البريطانيين أبكر مما أراد، اضطر للعمل في خلايا سرية، واستشهد خلال وقت قصير [9]. الذين بقوا على قيد الحياه من أخوان القسام هم من باشر باشعال نار الثورة الفلسطينيه الكبرى عام 1936 (جرار، ص 145).

فشل الثورة الكبرى في فلسطين (1939-1936) والقهر العنيف من قبل الاحتلال البريطاني أدى الى انهيار اجتماعي لم يقو الفلسطينيون من التغلب عليه. الحرب العالمية الثانية التي اندلعت خلال وقت قصير، وكارثة الشعب اليهودي، أدت الى هجرة يهودية مكثفة الى البلاد عامة، والى حيفا بالذات، وتزايد التعاطف الأوروبي - بريطاني مع المشروع الصهيوني.

منذ 1939 بدأت عملية اضعاف المجتمع الفلسطيني في المدينة. وفي نهاية 1947 بدأت الحركة الصهيونية بشن أعمال عدوانية واستفزازية ضد السكان العرب في حيفا، واندلعت حرب في المدينة بين العرب واليهود[8]...

في نيسان عام 1948 بدأت قوات الهاغاناه بطرد السكان العرب من ضواحي المدينة المختلفة (موريس، ص 90). ولتمنع التشريد أصدرت القيادة العربية في حيفا منشورًا لأهالي المدينة يحثهم على الدخول والبقاء في منازلهم، بدل التجمع في الشوارع أو ترك المدينة، لكن تحت وابل الرصاص والقذائف بدأت عملية هروب جماعية. دفعت قوات الهغاناه نحو 35000 عربي الى ميناء حيفا، هناك انتظرتهم سفن بريطانية حيث نقلتهم الى لبنان. يقدر أن 10% من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان أصلهم من حيفا. وهرب الكثيرون عن طريق البر الى الجليل، وحتى الى منطقة جنين. والكثيرون من سكان مخيمي جنين ونور الشمس هم من حيفا، ومن القرى المجاورة. بضع مئات من العرب المسيحيين التجأوا الى الكنائس، والتي لم يهاجمها اليهود خوفًا من الرأي العام في أوروبا والولايات المتحدة... في - 22 نيسان 1948 سقط الحصن الفلسطيني الأخير في المدينة – بيت النجادة (مقر حركة الكشاف العربي) في حي الحليصة على يد الكتيبة الـ 22 من الهاغاناه.

في 23 نيسان وقعت مدينه حيفا تحت الاحتلال الاسرائيلي. من 70000 فلسطيني بقي في المدينة فقط 3566 عربيًا.

- ومن الجانب الصهيوني... في حيفا أقيمت أيضًا منظمة الـهاجاناه" – الجناح العسكري المركزي للحركة الصهيونية.
- من مواليد سوريا وهو فعال في الحركة العربية الوطنية - كطالب في مصر نظّم حركة تضامن بين الطلاب مع الثورة في ليبيا ضد الاحتلال الايطالي، وفيما بعد شارك في المعارك في سوريا ضد قبول شرعية حكم الاحتلال الفرنسي، ونتيجة لذلك اضطر للهرب من مناطق حكم الاستعمار الفرنسي، وأتى الى فلسطين عام 1921.
- في تشرين ثاني 1935 اكتشفت حمولة أسلحة مهربة للـهاغاناة"، مخفية داخل صناديق كبيره لنقل مواد بناء بواسطه السفن في ميناء يافا (جبارة، ص 27).
- غادر القسام المدينة في بداية تشرين ثاني 1935 على رأس مجموعة مكونة من 23 شخصا الى جبال جنين بهدف البدء بحرب الأغوار ضد الاحتلال البريطاني. انكشفت المجموعة خلال فترة قصيرة على يد الجيش البريطاني، وفي 20 تشرين ثاني عقب معركة دامت يومين، استشهد عدد من أعضاء المجموعة واعتقل الباقون، جثث الشهداء احضرت ودفنت في المقبرة الاسلامية في بلد الشيخ وسط جنازة جماهيرية شارك فيها نحو 30 ألف شخص (حسب جبارة اندلعت مواجهات في نهاية الجنازة بين الشرطة وشبان رموا الحجارة). على شاهد قبر القسام كتبت جملة واحدة: "الشيخ عز الدين القسام- أول من رفع علم الجهاد في فلسطين". وبهذا الأمر اعترفت حتى الصحافة البريطانية في تلك الفترة.
- مثلا: في 1947/12/30 وضعت احدى خلايا الحركة الصهيونية قنبلة أودت بحياة 6 عمال عرب في المنطقة السكنية في معامل التكرير. وفي اليوم التالي هب العمال العرب وقتلوا 41 عاملاً يهوديًا في المعمل، وبالنتيجة قامت حركة الايتسل والهاغاناه وقتلت 60 قرويًا من بلد الشيخ القريبة.

الازدياد السكاني في حيفا في فترة الانتداب البريطاني

السنة	عدد السكان الكلي	عدد العرب	عدد اليهود
1922	24.634	18.404	6.230
1931	50.160	34.228	15.932
1938	99.090	51.090	48.000
1945	138.010	62.510	75.500
1948	144.000	70.000	74.000
1949	88.893	3.566	85.327

المصادر:-

www.palestineremembered.com

www.pnic.gov.ps/arabic/palestine/town2.html

د. جوني منصور، "حيفا في نهضتها الفكرية زمن الانتداب البريطاني"، مجلة الجيل الجديد، 2000، ص 13-12.

تيسير جبارة (2002)، إضراب عام 1936 في فلسطين: دراسة سياسية، القدس: مركز الدراسات والتطبيقات التربوية.

حسني أدهم جرار (1992)، شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والقيد الصهيوني، عمان: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع

גורן, תמיר (1996). מתלות להשתלבות: השלטון הישראלי וערביי חיפה, 1948-1950, בחינה היסטורית. חיפה: אוניברסיטת חיפה.

سكة الحديد الواصلة بين دمشق والحجاز

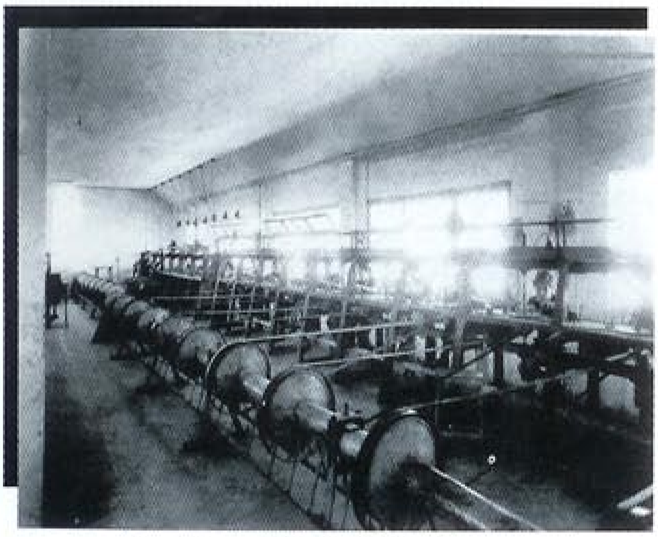

مصنع شركة "شيل" لتكرير البترول

بيان رقم 2

بيان عام للجمهور العربي بحيفا

1- ممنوع التجمهر بالطريق والساحات.

2- ممنوع إطلاق النار مطلقا.

3- ممنوع الاعتداءات مطلقا.

4- ممنوع التجول وتجمع الأولاد بالشوارع والأزقة ويجب أن يكونوا في مدارسهم أو بيوتهم فقط.

5- ممنوع القيام بالأعمال الفردية.

ينبغي على الجمهور أن يتصل باللجنة القومية بحيفا بالأمور الهامة العامة وليس بالمسائل الفردية.

اللجنة القومية - حيفا

احد البيانات التي أصدرت في عام 1948 على يد القيادة الميدانية لعرب حيفا - اللجنة القومية، وذلك للحفاظ على أمان وسلامة المواطنين ولمنع انتشار الفوضى في صفوفهم.

المصدر: حسين أغبارية (2001)، حيفا: التاريخ والذاكرة، حيفا: جمعية التطور الاجتماعي

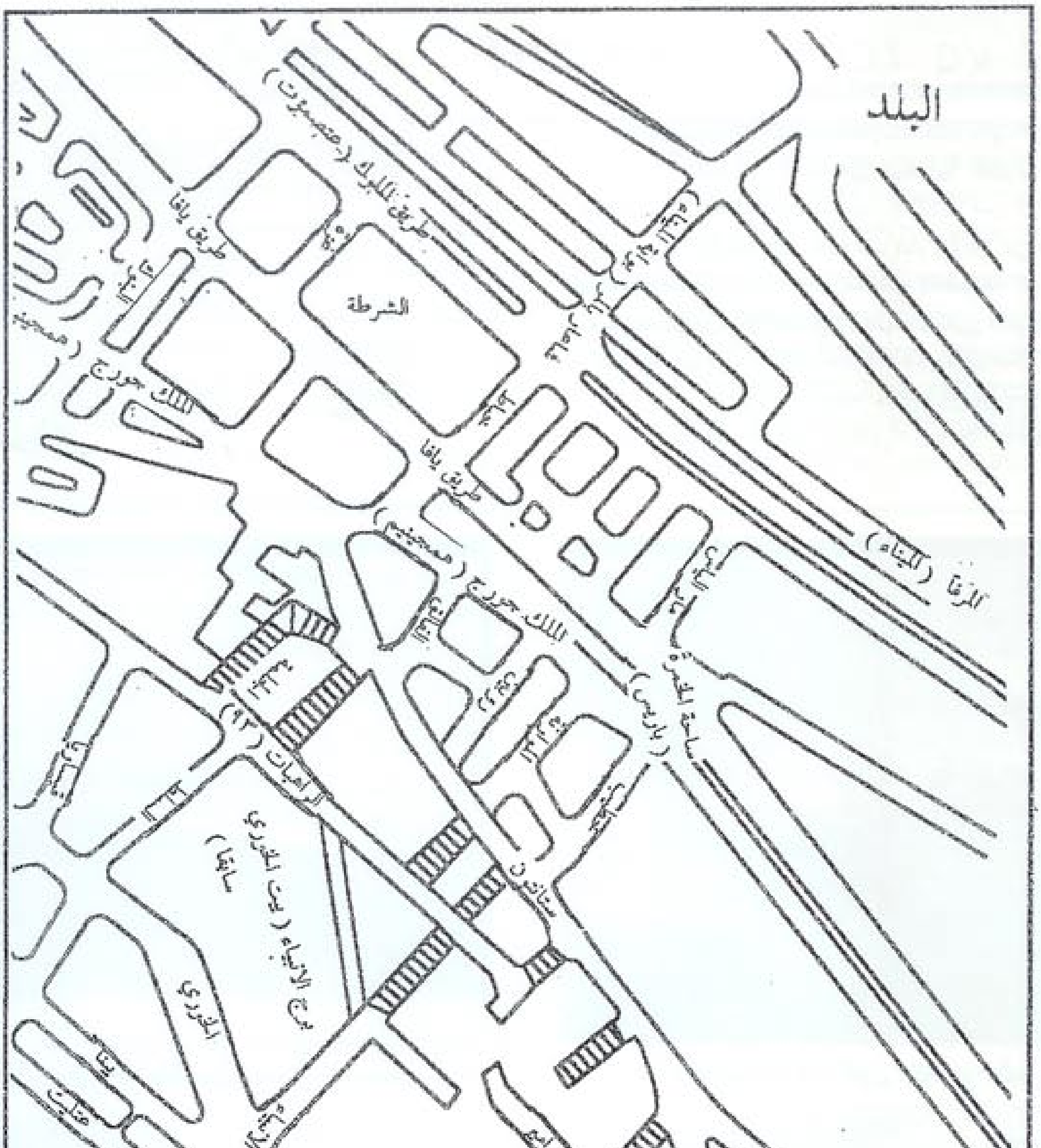

المصدر: د. جوني منصور، "شوارع حيفا العربية"

סקירה היסטורית קצרה

שמה של העיר חיפה נגזר משמו של הכפר הכנעני שהיה קיים לרגלי הכרמל - "אלחיפה" (שמשמעותו: הקרובה). בתקופה הרומאית הכפר היה ידוע בשם "איפא" והצלבנים כינו אותו "קייפאס" או "סיקאמינון" (שמשמעותו – פטל בר). חשוב לציין שבמשך כל אותה תקופה, ובמיוחד בתקופת הממלכות האסלאמיות והתקופה הראשונה של האימפריה העות'מאנית חיפה הייתה ישוב פריפריאלי, כשהעיר עכו ונמלה, הממוקם במפרץ טבעי, מהווים את המרכז המסחרי והשלטוני.

חיפה המודרנית, במיקומה הנוכחי, הוקמה באופן מתוכנן במאה ה-18' ע"י ד'אהר אלעמר [1] , מושל פלסטין, כעיר נמל מתחרה לעכו, אשר הייתה תחת שליטה עת'מאנית. ד'אהר אלעמר דאג לבנייתם המתוכננת של האלמנטים העיקריים הנחוצים בכדי להפוך ישוב לעיר מרכזית: שוק, מסגד, כנסייה, בית משפט, אזורי מגורים וחומה. העיר נכבשה ב-1799 לתקופה קצרה ע"י כוחותיו של נפוליון, עברה לשליטתו של אחמד ג'זאר באשא, וב-1840 עברה לשליטה עת'מאנית ישירה.

במחצית השנייה של המאה ה-19' הוחל בפיתוחו של הנמל, בראשונה ע"י חברה מסחרית רוסית (1859) ומאוחר יותר, בשנת 1908, ע"י השלטונות העות'מאניים [2]. בשנת 1905 נבנה כביש המחבר את חיפה עם טבריה והעיר חוברה אל מסילת הברזל החיג'אזית, המובילה מדמשק לחיג'אז. תחת שלטון המנדט הבריטי, הואץ פיתוחה של חיפה והיא הפכה למרכז מסחרי, שלטוני, ותעשייתי. בשנת 1919 חוברה העיר באמצעות מסילת ברזל לקהיר. בעיר נבנו בתי זיקוק לזיקוק הנפט העראקי הגולמי לפני העברתו לאירופה. נמל חיפה הוכשר בעלות של 1.25 מיליון לירה פלסטינית בכדי לאפשר את הובלת הנפט, והוכר בשנת 1929 כנמל מיים עמוקים מודרני שתפס את מקומו של נמל ביירות כנמל המרכזי המשרת את פלסטין, ירדן, עראק וסוריה. בעיר הוקם שדה תעופה – אחד מ-3 שדות התעופה בארץ, שהיווה תחנה בקו הנוסעים לונדון בומביי.

הפיכתה של חיפה לעיר נמל ולמרכז מסחרי ותעשייתי הביאה לגידולה המהיר ולשינויים באופייה הדמוגרפי ברמות שונות. בתחילת המאה ה-19' אוכלוסייתה של חיפה הייתה בת כ-4,000 איש – כולם ערבים. התחזקותה כעיר נמל מרכזית הביאה להגירה פנימית אל העיר וגדילתה.

תהליכי ההגירה מהכפר אל העיר מושכים, באופן מסורתי, את האלמנטים הדינמיים והמשכילים ביותר של האוכלוסייה, ואכן העיר משכה אליה צעירים ומשפחות ערביות פלסטיניות מכל רחבי הארץ. ב-1869, איכרים גרמנים ממסדר הטמפלרים התיישבו בעיר, והקימו את השכונה המכונה עד היום "המושבה הגרמנית". ב-1880, עוד לפני התנועה הציונית, החלה בעיר התיישבות של אוכלוסייה יהודית, ברובה מזרח אירופית, וכן התיישבות של אירופאים שונים שהגיעו בעקבות המסחר המתפתח. אוכלוסיית העיר גדלה בתקופת המנדט הבריטי מכ-20,000 תושבים בשנת 1920 ל-144,000 תושבים בשנת 1948.

התעוררות זו הביאה עימה התעוררות חברתית ואינטלקטואלית. בעיר נפתחו עשרות מועדוני תרבות, נוער וספורט עוד בשנות השלטון העת'מאני ומאוחר יותר בזמן שלטון המנדט.

מהידועים בין מועדוני התרבות אלו ניתן למצוא את המועדון האורתודוכסי, מועדון הארץ, המועדון הקתולי הערבי, המועדון הלאטיני, אגודת הצעירים המוסלמים, האגודה האסלאמית, האגודה הנוצרית, אגודת ההתעוררות הכלכלית הערבית ועוד... מבין החשובים שבין מועדוני הספורט ניתן למצוא את "מועדון הנוער הערבי", "המועדון האסלאמי", "מועדון הספורט האורתודוכסי", ועוד... במסגרת מועדונים אלו פעלו קבוצות כדורגל, כדורסל, אגרוף ואף שייט תחרותי.

בעיר הוקמו בתי ספר ממשלתיים ופרטיים, בין הידועים מהם בי"ס סנט לוקס, בי"ס סלזיאן, בי"ס אלבורג', בי"ס נזירות נצרת (הקיים עד היום) ועוד... בוגרי בתי ספר אלו הגבירו, בתורם, את ההתעוררות החברתית והאינטלקטואלית בעיר [3].

- עם החלשות האימפריה העות'מאנית במאה ה-18', הופיעו באזורים שונים של האימפריה נסיונות של מושלים ומנהיגים מקומיים להקים אזורי שליטה נפרדים ועצמאיים מהבירה באסטנבול (נסיונות כאלו היו בלבנון, פלסטין, מצריים, כשהקמת שלטונו של מחמד עלי ביי ושושלתו – אשר הופלה ע"י מהפכת הקצינים החופשיים ב-1952 – הייתה הניסיון המוצלח ביותר). בפלסטין התמרדו השיח' ד'אהר אלעמר אלזידאני ובניו בשנת 1775 כנגד השלטון העת'מאני, ושלטו, כשהם מסתמכים על משפט השבטים על חלקים של הארץ במשך כ-80 שנה עד לדיכויים הסופי ע"י אחמד ג'זאר באשא. בשיאו הגיע שלטונם מהר עאמל בצפון ועד להרי ירושליים בדרום, מהים במערב ועד הר עגילון במזרח.
- הנמל הוכר כנמל המודרני והמצוייד היטב בכל אזור הים התיכון, שני רק לנמל מרסיי הצרפתי...
- د. جوني منصور، "حيفا في نهضتها الفكرية زمن الانتداب البريطاني"، مجلة الجيل الجديد، أب 2002، ص 21-31.

תופעה תרבותית נוספת, ראוייה לאזכור, היא תופעת העיתונים וכתבי העת אשר פורסמו בחיפה, ואשר לוו בתנועה של התפתחות ההגות המקורית, וכן תרגום ממיטב ההגות העולמית. הראשונים מבין עיתונים אלו התפרסמו עוד בסוף התקופה העת׳מאנית ״מג׳לה אלנפאיס״ שהוצאה לאור בשנת 1909 ע״י ח׳ליל בידס, ועיתון ״אלכרמל״ שהוצא ע״י נג׳יב נצאר, שכונה, בצדק, שיח׳ העיתונאים הפלסטיניים, וכן עיתון ״אלנפיר״. בימי המנדט הבריטי הוצאו לאור בעיר גם כתבי העת ״אלזהרה״, ״אלזהור״, ״אלירמוכ״, ״אלסמיר״ ואחרים. בשנת 1944 נוסד עיתון ״אלאתחאד״, השייך למפלגה הקומוניסטית, בעריכת אמיל תומא, עיתון היוצא בעיר עד היום.

חיפה הייתה מהמרכזים של הפוליטיקה הפלסטינית המודרנית, לכל המפלגות הפוליטיות הפלסטיניות היה קיום ציבורי בעיר. בעיר התפתחו שתיים מהתנועות הפוליטיות המשמעותיות והחשובות ביותר – התנועה האיגוד מקצועית הפלסטינית, ותנועת ״אח׳ואן אלקסאם״ .

התנועה האיגוד מקצועית הפלסטינית התפתחה בקרב הפועלים הערבים בעיר בעיקר בהשפעת המפלגה הקומוניסטית, כתגובת נגד ל״הסתדרות״ אשר נאבקה מאז יסודה בשנות ה-20׳ תחת הדגל המשולב של השגת תנאי עבודה ושכר עדיפים לעובדים היהודים, ודגל ״העבודה העברית״ שמשמעותו דחיקת רגלי העובדים הערבים מתחומי התעשייה (יזבק, 2000). יש לציין שבעוד שבשנות ה-20׳ התקיימו התארגנויות עובדים משותפות של ערבים ויהודים (בהנהגת התנועה הציונית) ואף מאבקי עובדים משותפים, החל מראשית שנות ה-30׳ כמעט הפסיקו התארגנויות כאלו להתקיים, ואת מקומן תפס ״איגוד הפועלים הערבים הפלסטיניים״ בהנהגת מנהיג הפועלים סאמי טאהא.

תנועת ״אח׳ואן אלקסאם״ הוקמה ע״י השיח׳ עז אלדין אלקסאם , שהיה בשנות ה-20׳ אמאם המסגד הראשי בחיפה – מסגד ״אלאסתקלאל״. כשיח׳ הוא השקיע רבות בקידום וחינוך העניים שבין בני עדתו, ברובם פלאחים עניים שנדחקו מאדמותיהם באזורים הכפריים, וסבלו מאבטלה בעקבות הפעילות והמדיניות של התנועה הציונית. אלקסאם הטיף להם להתארגן ולהתכונן ולצאת לג׳יהאד כנגד הכיבוש הבריטי וההתפשטות הציונית (ג׳בארה, עמ׳ 18). ב-1934 נבחר עז אלדין אלקסאם כנשיא אגודת הצעירים החיפאיים. באותה תקופה אמצעי המאבק העיקריים של התנועה הלאומית הפלסטינית המאורגנת היו פעולות מחאה כגון הפגנות ושביתות, וכן כנסים ופניות אל גורמים בינלאומיים. שיח׳ עז אלדין אלקסאם דגל במאבק מזוין כנגד הכובש הבריטי והתנועה הציונית כדרך פעולה אפקטיבית יחידה, אך העדיף לחכות לזמן מתאים לפתוח במרד מזוין, ופעל למען יצירה של ארגון חזק יותר בקרב הפלאחים ותושבי הערים (ג׳יראר, עמ׳ 121-120).

גילוי העובדה שארגון ״ההגנה״ קונה נשק ומתחמש[6], גרמה לשיח׳ אלקסאם לצאת בקריאה פומבית לפתיחה במאבק מזויין כנגד הבריטים מוקדם מכפי שהתכוון, הוא נאלץ לרדת למחתרת, ונהרג תוך זמן קצר [7] . הנותרים בחיים מאח׳ואן אלקסאם הם שהציתו את שלהבת המרד הגדול בפלסטין, באפריל 1936 (ג׳יראר, עמ׳ 145) .

כשלונו של המרד הגדול (1939 – 1936) ודיכויו האכזרי ע״י הבריטים גרם למשבר בקרב החברה הפלסטינית ממנו לא הצליחה להתאושש. מלחמת העולם השנייה שפרצה תוך זמן קצר, ושואת היהודים, הביאו לעלייה גדולה בהגירה היהודית לארץ, ולחיפה בפרט, והגדילו את האהדה אירופית/בריטית לפרויקט הציוני. מאז 1939, למעשה, החלה החלשות החברה הפלסטינית בעיר. בסוף שנת 1947 החלו התקפות ופרובוקציות של התנועה הציונית על האוכלוסייה הערבית בחיפה, דוגמא אחת מיני רבות : ב-.30 12.1947 אחת המחתרות הציוניות הטמינה פצצה שגרמה להרג 6 ערבים בשכונת הפועלים ליד בתי הזיקוק. למחרת היום פועלים ערבים התפרעו והרגו 14 פועלים יהודים בתוך המפעל, וכתגובה ההגנה והאצ״ל הרגו 60 כפריים בכפר הסמוך בלד אלשיח׳...בעיר התעוררה מלחמה.

- כמו כן בחיפה הוקם ארגון ״ההגנה״.
- יליד סוריה ופעיל בתנועה הלאומית הערבית - כסטודנט במצריים ארגן סולידריות עם המאבק בלוב נגד הכיבוש האיטלקי, ומאוחר יותר השתתף במרד הסורי כנגד שלטון הכיבוש הצרפתי, כתוצאה מכך נאלץ לברוח משטחי השלטון הצרפתי, והגיע לפלסטין.
- באוקטובר 1935 התגלה מצבור נשק מוברח בתוך מכולות של חומרי בנייה, ג׳בארה, עמ׳ 27
- אלקסאם עזב את העיר בראשית נובמבר 1935 בראש קבוצה בת 23 אנשים אל הררי ג׳נין במטרה לפתוח במלחמת גרילה כנגד השלטון הבריטי, הם התגלו תוך זמן קצר ע״י הצבא הבריטי, ו ב20 בנובמבר, ואחר קרב שנמשך כיומיים, נהרגו חלק מחברי הקבוצה והאחרים נעצרו. גוויות ההרוגים הובאו לחיפה, והם נקברו בבית הקברות המוסלמי בבלד אלשיח׳. בהלוויותיהם של אלקסאם וחבריו השתתפו כ-30 אלף איש (לטענת ג׳בארה בסוף ההפגנה התנהלו התנגשויות בין המשטרה לבין צעירים מידי אבנים). על קברו נכתב משפט אחד : ״שיח׳ עז אלדין אלקסאם – הראשון שהניף את נס הג׳יהאד בפלסטין״ - עובדה בה הכירה אפילו העתונות הבריטית של אותה תקופה. נכונות ההקרבה של השיח׳ אלקסאם ואנשיו עמדה בניגוד בולט להתנהגות העסקנים הותיקים, שפחדו לשבת בבית הסוהר בעקבות ההפגנות בסתיו 1933 . קרב יעבד זעזע את הציבור הערבי הפלסטיני ומילא תפקיד חשוב בהתגבשות התנועה הלאומית הערבית הפלסטינית, ובהגדרת הכיבוש הבריטי, בתקופה ההיא, כאויבה הראשי. (ג׳יראר, 126 - 145, ג׳בארה, 18 - 19).

באפריל 1948 החלו כוחות ה"הגנה" לגרש את תושבי השכונות הערביות של חיפה. הנהגת ערביי חיפה – הוועד הלאומי – פרסמה מנשר הקורא לכל התושבים להיכנס ולשבת בבתיהם, לא להתגודד ברחובות ולא לעזוב את העיר, אך תחת ההפגזות והיריות החלה תנועת בריחה המונית. כ-35,000 מתושבי העיר הערבים נדחקו ע"י גדודי ההגנה אל נמל חיפה, שם חיכו להם ספינות בריטיות שהעבירו אותם ללבנון. ההערכות אומרות ש-10% מהפליטים הפלסטינים בלבנון מוצאם מחיפה. אחרים ברחו בדרך ההרים אל הרי הגליל, ואף לאזור ג'נין - רבים מתושבי מחנות הפליטים ג'נין ונור אלשמס הם חיפאים, ומכפרי הסביבה. כמה מאות מהערבים הנוצרים בעיר התחבאו בחסות הכנסייה, בה חששו גדודי ההגנה לפגוע מחשש ליצירת דעת קהל עויינת באירופה וארה"ב... ב-22 באפריל 1948 נכבש המעוז הפלסטיני האחרון בעיר – בית אלנג'אדה (מועדון תנועת הצופים הערבית) שבשכונת חליסה ע"י גדוד 22 של ההגנה.

ב-23 לאפריל היתה חיפה כולה תחת שלטון ישראלי. מתוך אוכלוסייה של כ-70,000 ערבים פלסטינים נותרו 3,566 בלבד.

צמיחת האוכלוסייה בחיפה בתקופת המנדט הבריטי

שנה	סה"כ תושבים	ערבים	יהודים
1922	24,634	18,404	6,230
1931	50,160	34,228	15,932
1938	99,090	51,090	48,000
1945	138,010	62,510	75,500
1948	144,000	70,000	74,000
1949	88,893	3,566	85,327

מקורות:-

www.palestineremembered.com

www.pnic.gov.ps/arabic/palestine/town2.html

د. جوني منصور، "حيفا في نهضتها الفكرية زمن الانتداب البريطاني"، مجلة الجيل الجديد، 2000، ص 13-12.

تيسير جبارة (2002)، إضراب عام 1936 في فلسطين: دراسة سياسية، القدس: مركز الدراسات والتطبيقات التربوية.

حسني أدهم جرار (1992)، شعب فلسطين أمام التأمر البريطاني والقيد الصهيوني، عمان: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع

גורן, תמיר (1996). מתלות להשתלבות: השלטון הישראלי וערביי חיפה, 1948-1950, בחינה היסטורית. חיפה: אוניברסיטת חיפה.

כרוז מס' 2

גילוי דעת כללי אל הציבור הערבי בחיפה

1. אסור להתקהל ברחובות ובכיכרות.
2. אסור באיסור חמור לירות בנשק חם.
3. אסור באיסור חמור כל מעשי תוקפנות.
4. אסור לילדים לשחק או לטייל ברחובות ובסמטאות ועליהם להיות בבתי הספר או בבתיהם בלבד.
5. אסורות כל פעולות של יחידים.

על הציבור ליצור קשר עם הוועד הלאומי בנושאים החשובים הכלליים בלבד ולא בשאלות פרטיות

הוועד הלאומי - חיפה

אחד הכרוזים שפורסמו בשנת 1947 - 1948 ע"י הנהגת הציבור הערבי בחיפה - שמטרתם שמירה על שלום ובטחון התושבים וניסיון למנוע אנדרלמוסיה והיסטריה.

המקור: حسين أغبارية (2001)، حيفا: التاريخ والذاكرة، حيفا: جمعية التطور الاجتماعي

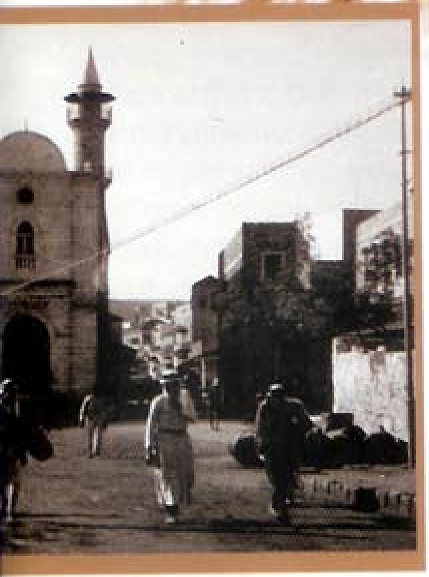

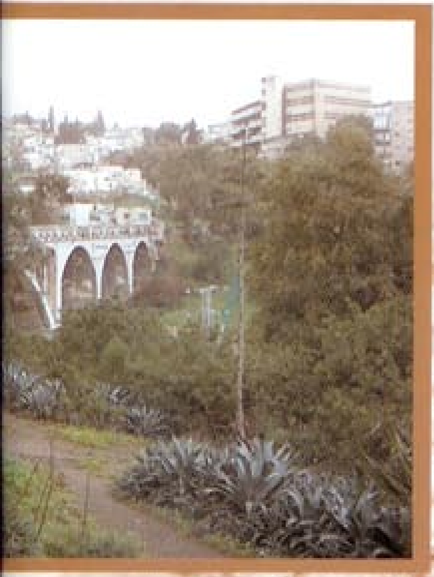

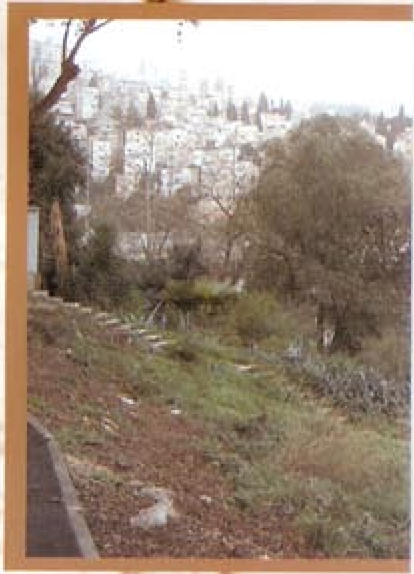

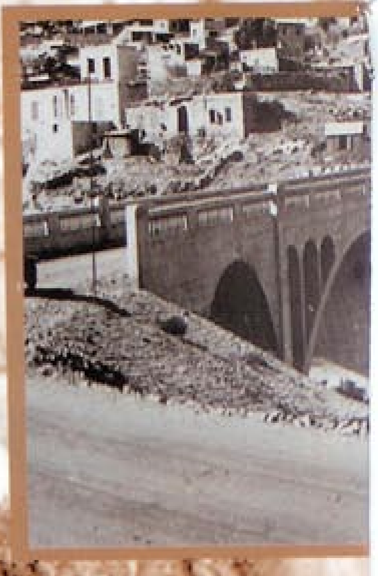

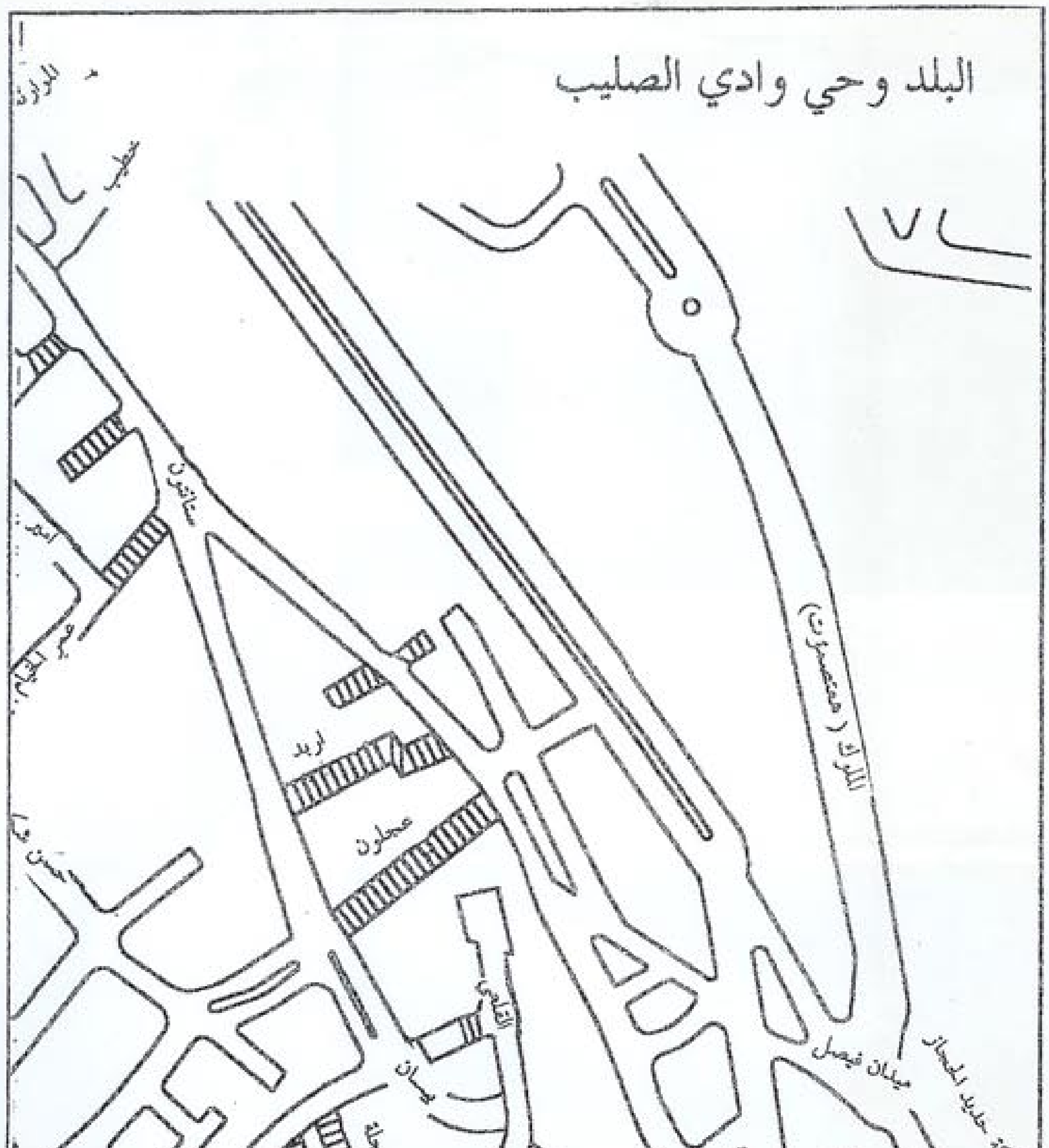

المصدر: د. جوني منصور، "شوارع حيفا العربية"

مقابلة مع السيد إبراهيم بيرومي

من سكان عكا حاليا, ولدت ب 27/7/1937 , اذكر اخر ايام الاحتلال. لكن قبل كل شي مهم عندي ان اقول انه قبل الاحتلال كانت علاقتنا جيده مع اليهود, ولما صارت المناوشات, بدات الامور تتدهور, وتعودنا ان نسمع كل يوم رصاص وقنابل والخ, تعودنا على هذا الشئ لان اليهود كانوا ساكنين بمنطقه عاليه واحنا ساكنين بالبلد, كان عمري ثمان او تسع سنوات باخر فتره الانتداب, اذكر اننا كنا نائمين والابواب مغلقه, وفي ساعات الصباح سمعنا ضرب على الباب, دخل خالي وسألنا ليش بعدنا نائمين... سقطت حيفا !!... دخل اليهود واحتلوها, ولما فتحنا الباب وجدنا الرصاص والحديد والمتفجرات على باب الدار بالساحه وكان من الصعب أن نمشي من باب الدار لانه كل شي كان مكسّر, خرجنا من الشبابيك ولقينا الناس عم تركض... رحنا للديروتجمعت الناس كلها بالدير على الارض ومش عارفين شو يعملوا وشو راح يصير, بس اتضح انه كانوا مخططين للموضوع, وصار ييجي ناس يحكوا عربي معنا, وكانوا يأخذوا كل مرّه مجموعه منا, يعني حوالي كل مجموعه كانت مكونّه من عشرين شخص, وكانوا يأخذوهم على الميناء, وبالميناء كان الجيش الانجليزي المسلح واقف, ومن هناك يرّحلونا على لبنان عن طريق عكا, ومن حظنا انه سفينتنا أتت متاخره ورست بعكا, ولما رست بعكا نزلنا منها وكان لازم ثاني يوم نسافر, انا وعائلتي بقينا بعكا عند اشخاص اعرفهم والكبار سافروا بالسفينه, والحمد لله ظلينا احنا هون.

الذي صار انه ثاني يوم كنا لازم نطلع على لبنان بسفينه كانوا يسموها الزحافه, سفينه صغيره وما بتوسع كتير, بس ما اجت السفينه, ففكرنا انه نطلع عن طريق البر, عن طريق رأس الناقوره, ولما رحنا كان الحاكم العسكري مريض, فقررنا ناجلها لاسبوع, ولما رحنا بعد اسبوع كانت الطريق مسكره.

كانت البيوت بعكا كلها مفتوحه, مليانه بالاثاث, فارغه من الناس, احنا لاقينا عقد نسكن فيه, ما كان فيه غير سرير وشويه اثاث, يعني ناس فقراء كانوا ساكنين فيه, سكنا بالدار يوم او يومين وبعدها أتوا اليهود وجمّعوا الشباب من جيل 17 او 18 , ومن جمله الشباب أخذوا أخي علي وحبّسوا الشباب بدون ما حدا يعرف السبب, امي رفضت انه نطلع على لبنان الا اذا أخرجوا اخي من السجن, وهذا السبب اللي بقانا هون, في النهايه أخرجوا الشباب من السجن لانهم ما وجدوا أي شبهه عليهم.

عائلة أحمد بيرومي

واحنا بعكا كان عندي خال يملك دكان بحيفا, ونزل عشان يجيب المصاري من الدكان لانه لما سقطت حيفا الناس هربوا وخالي ترك الجارور مليان مصاري وهرب, قبل ما ينزل طلبنا منه انه يدخل على دارنا ويجيب منها اثاث او أي شي, ولما راح ودخل على الدار وجدها فارغه والدكان لقاه مسروق, ورجع بدون فائده على عكا.

بعكا كان في كتير من المسؤولين اليهود اللي كانوا يعطوا تصاريح, ويحققوا ويلاحقوا ويراقبوا الناس, انا كنت صغير وما كنت افهم شو بصير.

ما رجعنا على الدار لانه الدار صارت خرابه, البيت تكسّر وكل شي تكسّر, نزلت قنبله على الدار والدار انهدت وما حدا سكن فيها, كل الجيران هربت وما ضل حدا, خفنا نرجع لانه الاوضاع ما كانت مستقره وكان في قصف وحرب وغدر, وكان في حديث بين الناس انه اذا رجعوا على حيفا راح يقتلوهم.

كان عنا دار ملك, دخل عليها اليهود واحتلوها, كانت موجوده بدُرج اليمن واليوم ما بعرف شو بسمّوه, بس بالاخر والدي حرر الدار وأثبت انها ملكه, وأجّرها , وبعد بفتره انهدت الدار بدون ما نعرف مين اللي هدّها, واليوم ما في الها اثر وفي بناء فوقها ما بعرف لشو تابع, وما حدا بلغنا انه بدها تنهد.

في النهايه بحب اقول انه قبل الاحتلال كانت علاقاتنا جيده مع اليهود ولما كنا نروح على الهدار نشتري من عندم كانت العلاقات طيبه وقويه, ولما بدأت المناوشات صار في كراهيه وغدر وما عاد في امان وصار صعب العربي يحكي مع صاحبه اليهودي.

مره سمعت قصه عن شخص عربي قرر انه يسترجع مصاري من يهودي, ولما طلب حقه قتلوه وقطعوه ووضعوه بكيس ودحرجوه عن درج اليمن, انا ما شفت الحادثه لاني كنت صغير, بس كنت اسمع الناس تحكي عنها.

ראיון עם מר אבראהים ביירומי

אני גר בעכו, נולדתי ב 27.7.1937, אני זוכר את הימים האחרונים של הכיבוש, אבל ראשית כל חשוב לי להגיד שלפני 1948 היינו בקשרים טובים עם היהודים, אך קשרים אלה התחילו להתדרדר אחרי המלחמה. באותם ימים קשים התרגלנו לשמוע כל יום ירי, פצצות וכו׳, היהודים אז גרו במעלה ההר ואנחנו גרנו בעיר התחתית.

בסוף המנדט הבריטי ותחילת המלחמה הייתי בן שמונה או תשע, אני זוכר יום אחד בו ישנו כשדלתות הבית סגורות, פתאום בשעות הבוקר שמענו דפיקות חזקות בדלת, דודי נכנס בבהלה ושאל למה אנחנו עדיין ישנים ....חיפה נפלה !!... היהודים נכנסו וכבשו אותה !!; כשפתחנו את הדלת ראינו כדורים וברזל ופצצות ליד הדלת בחצר, לא יכולנו לצאת כי הכל היה שבור והרוס. צפינו מהחלונות וראינו את כל האנשים רצים... הלכנו למנזר ושם הגיעו והתאספו אנשים, ישבנו על הרצפה חסרי אונים ופוחדים, אך התברר אחר כך כי הכל היה מתוכנן כך שהתחילו להגיע אנשים שדברו איתנו בערבית והתחילו לחלק אותנו לקבוצות כשבכל קבוצה כעשרים איש, ולקחו אותם אל הנמל, שם התרכז הצבא הבריטי החמוש שטרינספר אותנו ללבנון דרך עכו. למזלנו הספינה שלנו איחרה ועגנה בעכו והיתה אמורה להמשיך בנסיעתה למחרת היום, כך שירדנו מהאוניה, אני ומשפחתי נשארנו בעכו אצל קרובי משפחה ואילו האחרים המשיכו בנסיעה באותו היום.

לאוניה שבה היינו אמורים לנסוע ללבנון למחרת קראו ״זחאפה״ - אוניה קטנה שרק מעט אנשים נכנסים לתוכה – אך האוניה לא הגיעה, חשבנו לנסוע בדרך היבשה, דרך ראש הנקרה אך באותו יום המושל הצבאי באזור היה חולה. החלטנו לדחות את הנסיעה בשבוע, אך כשניסינו לנסוע ללבנון אחרי שבוע, הדרך הייתה סגורה.

כל הבתים בעכו היו פתוחים, מלאים רהיטים, מרוקנים מאנשים, משפחתי מצאה בית שבו היו רק מיטה וכמה רהיטים, כנראה שאנשים עניים גרו שם. נשארנו בבית יום או יומיים ולאחר מכן הגיעו היהודים ואספו את כל הנערים בגילאי 17 ו-18, אח שלי היה בין העצורים, לא הבנו למה עצרו את הנערים, אמא סירבה ללכת ללבנון ללא אחי וזאת הייתה הסיבה שבגללה נשארנו בעכו, בסוף היהודים שיחררו את הנערים, ובניהם אחי, לאחר שלא ראו בהם חשודים ומסוכנים.

באותה תקופה דודי, שהיה בעל חנות בחיפה, החליט לנסוע לעיר בכדי להביא כסף שהשאיר בחנות, כי ביום בו נפלה חיפה והאנשים ברחו דודי עזב את מגירת החנות מלאה בכסף, משפחתי ביקשה ממנו לעבור דרך ביתנו ולהביא ממנו רהיטים וחפצים אחרים, אך כשנסע מצא את הדירה ריקה ואת החנות גנובה, וחזר חסר כל לעכו. בעכו היו הרבה קצינים ופקידים יהודים אשר נתנו אישורים, חקרו, רדפו ועקבו אחר האנשים. אני הייתי קטן ולא הבנתי מה קורה סביבי.

לא חזרנו לביתנו כי הבית הפך לחורבה וכל מה שהיה בו נשבר ונהרס; פצצה פגעה בבית וכל מה שהיה בו ולידו נהרס, כל השכנים ברחו ולא נשאר איש. פחדנו לחזור כי המצב היה לא יציב והיו הפצצות ומלחמה ובגידה. האנשים חששו לחזור כי פחדו שיהרגו אותם. בבעלות משפחתי היה בית, היהודים נכנסו וכבשו אותו, הבית היה מוקם ב״דרג׳ אל ימן״, אינני יודע איך קוראים לאזור זה היום, כעבור זמן אבי הצליח לשחרר את הבית, להוכיח שהוא רכושו, ולהשכיר אותו לאנשים, אך לאחר תקופה קצרה הבית נהרס ולא ידוע עד היום מי הרס אותו, איש לא הודיע לנו על ההריסה. לא נותר לבית שלנו שריד ובמקומו נבנה בניין שאינני יודע למי הבית שייך.

לבסוף ברצוני להדגיש כי לפני הכיבוש היו לנו קשרים טובים עם היהודים, כשהיינו הולכים להדר לעשות קניות אצלם היחסים בינינו היו טובים ואמיצים, אך כשהחלו ההתקלויות נוצרו שנאה ובגידה, נעלם האמון בין שני הצדדים ונהיה מאוד קשה לערבי לדבר עם חברו היהודי.

סיפרו שאחד הפלסטינים רצה לגבות חוב מיהודי, וכשבקש ממנו את כספו, יהודים רצחו ובתרו אותו ושמו אותו בשקית והפילו אותו מ״דרג׳ אל ימן״. אני לא ראיתי את האירוע כי הייתי קטן אבל שמעתי לעתים קרובות שאנשים דיברו אודותיו.

مقابلة مع السيدة جورجيت عوض

ولدت في طبريا واتيت الى حيفا سنه 1938 بعد ما عشت المعارك في طبريا, اثناء الحرب كان عمري حوالي 16 عاما. اذكر انه في الـ1948 سمعنا ان الانجليز سوف يغادرون البلاد وان اليهود سوف تستلم البلاد من الانجليز.

لا اذكر بالضبط كيف بدات القصه والاحداث والحرب, لكن كنا نسمع ان المندوب السامي اتى الى حيفا وقرر ان يقسم فلسطين بين العرب واليهود, الزعماء العرب رفضوا مقابلته, واليهود اخذوه لصفهم وجعلوه يرى المناطق التي يريدون امتلاكها, بالنهايه العرب رفضوا قرار التقسيم وهكذا بدات الحرب.

بدات المعارك بالقرى الصغيره حيث تغلب عليها اليهود, القرى التي ناضلت كانوا يدمرونها والقرى التي سلّمت نفسها بقيت كما هي.

بحيفا سكن معظم اليهود بالكرمل والهدار والعرب سكنوا بالبلده القديمه بشوارع مثل يافا, اللنبي, ستانتون, الملوك, هرتسل, عباس, بات جاليم, وادي النسناس, وادي الجمال والخ... كانت البلد القديمه قريبه اكثر على البحر. لكن طبعًا كان هنالك حارات مختلطه بين العرب واليهود وكانت العلاقات جيده بين الطرفين, جارنا مثلاً كان يهودي وكان من اعز اصدقاء العائله, ساعدنا بالحرب وكان يخبيء الشباب العرب عنده بالبيت.

كان في عائلات غنيه التي سمعت ان الانجليز بدهن يغادروا البلاد وان اليهود راح يحتلوها, ولما شعروا بتهديد على حياتهم سافروا قبل الحرب على لبنان والاردن وسوريا ومصر. اما العائلات الفقيره, أجبروهم الانجليز واليهود أن يسافروا بالشاحنات والسفن على لبنان وكانوا يسهلوا لهم الطريق, ووعدوهم ان يعودوا عندما تهدأ الاوضاع, وطبعا هذا الشيء ما صار .

عائلتي بقيت بالبيت حتى اخر يوم من سقوط حيفا, وكنا البيت الوحيد بالحي الذي ظلّ اصحابه فيه, عائلتي رفضت ان تترك حيفا, كان بيتنا يقع بشارع اللنبي, وكنا نسمع القصف والرصاص ونرى الحرائق والقتلى كل يوم بالشوارع. بجانب البيت كان ملجا وكنا نختبيء فيه لعده ساعات.

بعد شهرين من بدء الاحداث, سقطت حيفا... قررنا ان نترك البيت ونذهب الى الناصره عند اقارب لنا, الناصره وقتها سلّمت نفسها وما قاومت ولم تحدث فيها معارك.

خرجنا من البيت بدون ملابس واثاث وبدون اي شي, لانهم اخبرونا انه خلال اسبوعين راح نرجع لما تهدا الاوضاع. بعد اسبوعين سافرنا انا وزوجه عمي على حيفا بعد ما حصلنا على تصريح من اليهود لانه التجول كان ممنوع, رحنا لحتى نجيب اغراض وملابس من البيت, بس البيت كان مهبّط.

زوجه عمي كانت ساكنه بالكنيسه قبل ما تتهجر على الناصره, رحنا على الكنيسه عشان نجيب اغراض وملابس من هناك, وبعد ما حملنا شويّه اغراض ركبنا بالشاحنه راجعين على الناصره, وخلال الطريق مرّينا بشوارع حيفا, كانت الشوارع فارغه من الناس, والبيوت والدكاكين كلها مفتوحه, وكان بس جيش الهاغاناه المسّلح بتجول بالشوارع.

بعد ما اقيمت حكومه اسرائيل وتركزت رجعوا بعض العائلات العربيه التي بقيت بالبلاد بس احنا ما رجعنا لانه بيتنا انهد وبقينا بالناصره.

بتذكر لما جئت على حيفا بعد اسبوعين من سقوطها, التقيت بصديق وحكالي انه هو ومجموعه شباب كانوا من المقاومين والفدائيه ايام المعركه, ومقرهم كان بشارع الملوك, خبرني انه الشباب ناضلوا لاخر دقيقه بس ما نجحوا يقاوموا اكثر من هيك.

بحيفا كتير ناس قتلوا وتهجروا, احنا عنا كتير اقارب بلبنان والاردن وسوريا, بس اغلب الفلسطينيه بحيفا تهجروا على لبنان.

بالناصره عشنا فتره صعبه كتير, ما كان عنا بيت وقضينا فتره عند اقاربنا حتى استأجرنا بيت وأثثناه على مراحل, كنت ابكي كثير لما اتذكر الاحداث وكيف تركنا حيفا وعشنا فتره صعبه, بس والدي كان يعزّيني ويقول لي "ما تحزني, راح نرجع على حيفا !!!".

مسرح شعبي في حيفا

ראיון עם גברת ג'ורג'ט עווד

נולדתי בטבריה והגעתי לחיפה שנת 1938, ב 1948 הייתי בת 16 . אני זוכרת שבאותה שנה שמענו כי הבריטים תכננו לעזוב את הארץ וכי היהודים יכבשו את הארץ וישתלטו עליה.

אני לא זוכרת בדיוק איך המלחמה התחילה, אך שמענו באותה תקופה שנציג בריטי הגיע לאזור ורצה לחלק את הארץ בין היהודים לפלסטינים, המנהיגים הערבים סירבו להיפגש איתו ואילו היהודים לקחו אותו לצד שלהם ונתנו לו לראות את האזורים שהם מעוניינים לשלוט בהם, בסוף המנהיגים הערבים סירבו לקבל את החלטת החלוקה והמלחמה התחילה.

המלחמה התחילה בכפרים הקטנים שהיהודים כבשו והשתלטו עליהם. הכפרים שנאבקו והתקוממו נהרסו ותושביהם גורשו, ואילו הכפרים שנכנעו ולא נאבקו קיימים עד היום.

היהודים בחיפה גרו רובם באזור הכרמל והדר, ואילו הערבים גרו בעיר העתיקה ברחובות כמו יאפא, אלנבי, סתאנתון, אלמולוכ (העצמאות היום), ועבאס, ובשכונות בת גלים, ואדי אלניסנאס, ואדי אלגימאל וכו', העיר העתיקה הייתה קרובה לים. כמו כן היו שכונות שבהם גרו ערבים ויהודים יחד והיחסים בין שני הצדדים היו טובים וחברותיים. השכן היהודי שלנו, למשל, היה החבר הכי טוב של המשפחה, הוא עזר לנו במלחמה והחביא את הצעירים הערבים אצלו בבית.

כששמעו המשפחות העשירות שהבריטים רוצים לעזוב את הארץ והיהודים הולכים לכבוש אותה, הן הרגישו איום על חייהן ונסעו לפני תחילת הקרב ללבנון וסוריה ומצרים, ואילו המשפחות העניות, גורשו מחיפה ע"י הבריטים והיהודים שהכריחו אותם לנסוע במשאיות ובספינות ללבנון. היהודים והבריטים "סייעו" להם לעזוב את העיר והבטיחו שיאפשרו להם לחזור לאחר שהמצב יירגע, דבר שכידוע לא קרה.

משפחתי נשארה בביתה עד יום נפילת חיפה, היינו הבית היחידי בשכונה שהבעלים שלו נשארו בו, משפחתי סירבה לעזוב את הבית שהיה ברחוב אלנבי. אני זוכרת ששמענו את ההפצצות והירי וראינו כל יום את השריפות וההרוגים ברחובות. ליד הבית היה מקלט שהתחבאנו בו לאורך שעות בזמן המלחמה. לאחר חודשיים של לחימה קשה חיפה נפלה.... משפחתי החליטה לעזוב את הבית וללכת אל קרובי משפחה בנצרת. בנצרת לא היה קרב כי העיר הסגירה את עצמה ולא נאבקה.

יצאנו מהבית ללא בגדים וחפצים ורהיטים, אמרו לנו שנחזור תוך שבועיים לאחר שהמצב יירגע. לאחר שבועיים נסענו אני ודודתי לחיפה, לאחר שהשגנו אישור מהיהודים כי היה עוצר. נסענו להביא חפצים ובגדים מהבית אבל הופתענו למצוא אותו הרוס....

דודתי גרה בכנסיה לפני שנסעה איתנו לנצרת, הלכנו לכנסיה והבאנו כמה חפצים משם וחזרנו במשאית. בדרך חזרה עברנו ברחובות חיפה, הרחובות היו ריקים מאנשים, הבתים והחנויות פתוחים, ורק קבוצות "ההגנה" החמושות הסתובבו בשטח.

לאחר שהוקמו הממשלה ומדינת ישראל חזרו חלק מהמשפחות הערביות שנשארו בארץ אבל אנחנו לא חזרנו כי הבית היה הרוס, וכך נשארנו בנצרת.

אני זוכרת שהגעתי לחיפה שבועיים לאחר נפילתה, פגשתי ידיד שסיפר לי כי הוא וכמה מחבריו היו מהמתנגדים והפידאייה (לוחמים המוכנים להקריב את נפשם) בזמן העימותים והקרב, והמרכז שלהם היה ברחוב אלמולוכ, הוא סיפר כי הגברים והנערים נאבקו עד הרגע האחרון אך לא יכלו להיאבק יותר.

הרבה אנשים בחיפה נהרגו וגורשו, יש לנו הרבה קרובי משפחה בלבנון וירדן וסוריה, אך רוב הפלשתיניים בחיפה גורשו ללבנון.

בנצרת עברנו תקופה מאוד קשה, לא היה לנו בית וגרנו תקופה ארוכה אצל קרובי משפחה, לאחר מכן שכרנו בית וריהטנו אותו בהדרגה, כל פעם שהייתי נזכרת במלחמה ובביתינו ההרוס הייתי בוכה הרבה, אך אבא היה מנחם אותי ואומר "**אל תהיי עצובה, אנחנו נחזור לחיפה !!!**"

صباح الأربعاء 21 نيسان عام 48، كانت حيفا مدينه لا تتوقع شيئا، رغم أنها كانت محكومة بتوتر غامض. وفجأة جاء القصف من الشرق، من تلال الكرمل العالية، ومضت قذائف "المورتر" تطير عبر وسط المدينة لتصب في الأحياء العربية.

وانقلبت شوارع حيفا إلى فوضى، واكتسح الرعب في المدينة التي أغلقت حوانيتها ونوافذ بيوتها. كان سعيد في قلب المدينة حين بدأت أصوات الرصاص والمتفجرات تملأ سماء حيفا. كان قد ظل حتى الظهر غير متوقع أن يكون ذلك هو الهجوم الشامل. عندها حاول للوهلة الأولى أن يعود إلى البيت بسيارته، إلا أنه ما لبث اكتشاف استحالة ذلك فمضى عبر شوارع فرعية، محاولا اجتياز الطريق إلى الحليصة حيث يقع منزله، إلا أن القتال كان قد اتسع وصار يرى الرجال المسلحين يندفعون من الشوارع الفرعية إلى الرئيسية وبالعكس. وكانت تحركاتهم تسير وفق توجيهات بمكبرات الصوت تنبثق هنا وهناك. وبعد لحظات شعر سعيد أنه يندفع دونما اتجاه، وأن الأزقة المغلقة بالمتاريس أو بالرصاص أو بالجنود إنما تدفعه دون أن يحس نحو اتجاه وحيد. وفي كل مره كان يحاول العودة إلى وجهته الرئيسية منتقيا إحدى الأزقه، كان يجد نفسه كأنما بقوة غير مرئية يرتد إلى طريق واحد. ذلك هو المتجه نحو الساحل.

غسان كنفاني "عائد إلى حيفا"

בוקר יום רביעי 21 באפריל, שנת 1948 חיפה הייתה עיר שלא ציפתה דבר. אף כי אפפה אותה מתיחות כבושה. לפתע באה ההפצצה ממזרח. מן הרכס העליון של הכרמל, פגזי המרגמות התעופפו מעל מרכז העיר ופגעו בשכונות הערביות. רחובותיה של חיפה הפכו תוהו ובוהו. והפחד כבש את העיר שסגרה את חנויותיה וחלונות בתיה.

סעיד היה במרכז העיר כשהחלו קולות הירי והנפץ למלא את שמי חיפה. עד הצהריים לא שיער שזוהי ההתקפה הכוללת, ורק אז ניסה ברגע הראשונה לשוב הביתה במכוניתו. אבל עד מהרה גילה שהדבר בלתי אפשרי, והוא עבר ברחובות צדדיים בניסיון לפלס דרך לביתו שבשכונת חליסה. אלא שהלחימה התפשטה והוא ראה אנשים חמושים מזנקים מן הרחובות הצדדיים לרחובות הראשיים ולהיפך. הם נעו לפי הנחיות שנבעו מרמקולים כאן ושם. כעבור רגעים אחדים חש סעיד שהוא נדחף בלי מטרה, וכי הסמטאות החסומות במחסומים או בכדורים או בחיילים דוחפות אותו מבלי משים לכיוון אחד. וכל אימת שניסה לשוב למגמת פניו הראשית ובחר לשם כך את אחת הסמטאות, היה מוצא עצמו נדחק בידי כוח בלתי נראה לעבר דרך אחת. הדרך הפונה אל החוף.

ע'סאן כנפאני "השיבה לחיפה"

يمشي الشيخ المشفق الوجة الذي نتحدث عنه, جنبا الى جنب مع سنوات هذا القرن, هو يتراجع, والسنوات تتقدم, ببطء لكن بحزن, بألم, بحسرة.. يستيقظ مع طلوع الشمس.. يترك البيت.. ويمشي في شوارع حيفا-ي.ل. بيرتس, هنفيئيم, مندلي موخير سفريم, أبراهام أفينو, سارة أمينو.. أسماء لا تثبت على لسانة.. وشوارع لا تثبت عليها قدماة.. يبحث عن مقعد في حديقة.. يجتمع حولة أصدقاء. عندما كان "عربجي", سكة مكة, في حيفا.. كان هؤلاء الاصدقاء يبنون قصورهم في بغداد والاسكندرية واولادهم على مقاعد الدراسة يستعدون لادارة قسم الهويات في دائرة الهجرة.

نقول: حرب ال 14.. (الحرب العالمية الاولى).. يقول كنت في الـ14.. نقول حرب النكبة يقول كان عمري 48 ويضيف: "بلغتها يوم ما كان مدفعهم على البرج, وضربوا قنبلة فيها كبريت أصفر على الساعة قرب مسجد الجريني, فسقطت الساعة, قلت:" سقطت الساعة, سقط الوطن".. ورحت أبحث عن شريكي, ابراهم شميدو, هالعكروت كان صار بايع الخان وبايع الشراكة."

كان حي "الهدار" كروم عنب لدار الخمرة وبيت سلام والهواش.. اشتراه ممثل الكيرن كييمت الذي كان مكتبة في شارع ستانتون.. واشترى تل السمك والعزازية وسلمها لليهود.. ساعدهم بروزما حاكم المركزية.. فتحوا مكاتب وصاروا يشتروا في هالبلاد, وهالسماسرة والاقطاعيين يقدموا لهم الغالي والرخيص, البارون اشترى حتى زمارين, والمنطقة الالمانية, كانت مع الالمان من ايام تركيا, بعد ما اجا قيصر المانيا غليون (ويلهلم غليوم) وطلع على البونط.. اول ما وصل طلب الموارس من مشيرية عكا ليعطيها للالمان اللي سبقوة.. قام الاهالي صاروا يكيلوها بالحبل.. وبعدين ركب حنطور جورج سوس وراح القدس..الالمان كانوا يشتغلوا فلاحين وعربجية, مثلنا مثلهم, بعدين فتحوا الشوارع للقدس وصارت نسوانهم تشتغل على العربات وهم ينقلوا السواح, ويتمركزوا في الكرمل, سكن واحد اسمه كيلير.. ثم اجا شنايدر وبعدها الراهبات واشتروا أم العمد وبيت لحم من الفرد تويني وباعوها لموسى خانكين زلمة الكيرن كييمت..احنا هالفقرا ما عرفنا هالبلاد كيف طارت ولما الفقراكانوا يرفعوا صوتهم كانوا يكسروا رؤوسهم.. جاري في حارة الكنايس كان الشيخ عز الدين القسام.. أصلة من اللاذقية.. كان فقير ورجل دين تقي يهدي علي ويوعظني..لاني كنت أشرب كتير ..كل المشايخ كانوا ضده: الحج خليل وحسن بك وابراهيم بك وسليمان بك الصلاح والحج عبد اللة, كلهم كانوا ضدة.. ليش: لانه فقير حربجي بده يحرر هالبلاد, جماعتة

كلهم الفقراء والفلاحين المقطعين, واحد من هون وواحد من هون.. منا يا هالفقرا ..قتلوة الانجليز .. هو وجماعتة, حصدوهم في يعبد..حياة الشيخ كان مخلص لجماعتة.. واللة البيكوات والبشوات ما في نفوسهم ذمة..ولا واللة..كلهم حرامية وكنت تشتري الواحد بصرامي.. قبل ما ياخذوا الحكم كان لي صديق يهودي اسمة داهود كوهين بيشتغل عند اهرونسون..يوم ناداني..رحت لعنده قال لي معكاش خبر؟ أخذنا البلاد.. جيب ولادك على زمارين!

حدثنا الشيخ المشفق الوجة عن ساحة الحناطير, "كانت مثل محطة التكسيات هالعربات والحناطير واقفة تنتظر..واحد رايح على المحطى يدفع عشر قروش ويركب.. واحد رايح على أم الجمال.. على الخريبة.. الياجور.. المراح.. بركية.. كان يركب معنا ونوصلة"..

ذكر الخضر: فاقتربت زوجتة وقالت انها ستحكي لنا هالخرفية: "مرة كنا في الخضر, وصلوا زوار من كل البلاد, ذبحوا هالذبايح ونزلوا العرق في التناك.. وقاموا القيامة.. بعد ما اكلوا وشربوا ونزلوا عالبحر.. لما فاتوا ضيعوا وصاروا يغرقوا.. فزعت الناس تدب الصوت اللي جوزها في البحر, اللي اخوها.. والختيارية يا حرام صاروا يتدعوا: دخلك يا خضر, أطلعهم يا خضر!

ما شافوا الا واحد قاعد على الشخطورة وفات على نص البحر.. صار يجيب عالشط ويرمي في هالناس..يجيب ويرمي.. خفى اللة يا ربي خمس ست نقلات.. بعدين فقدوة ما وجدوة.. قرص ملح وذاب..قدرة اللة.. الناس صارت تقول: هذا الخضر.. ما غرق ولا واحد..بعدين غنوا ودبكوا وزمروا.. وما حد نام يومها..كانت سهرة ما في احلى منها"..

لم يسمح لها بان تواصل الحديث.. قال: الخضر حي ! الخضر حي !

كانت هنالك مغارة.. جاء اسعد الخضر وبنى حولها.. وشيدت بنايات جميلة في ذالك الموقع الذي يطل على البحر. .ولم يتوقع أحد من الذين كانوا في الموقع المقدس بأنه سياتي يوم وتصل الى حيفا اخبار دير ياسين حيث يصبح "رأسمال الزلمة فشكة"..

"كنا..مش عارفين حالنا وين..طاسة وضايعة.. الانجليز ينهشوا فينا واليهود ينهشوا فينا ومشايخنا ينهشوا فينا..وكلمة تأخذنا وكلمة توّدينا.. ومن يوم ما علمونا "سيف الدين الحج امين" اللي صار بعدها ما تحمله القرود..

كان ذلك في نيسان 1948.. في التاسع عشر من هذا الشهر الربيعي سقطت حيفا.. كان جنود بريطانيا يجمعون امتعتهم, بعد ان سلموا اسلحتهم لقوات الهاجانا, استعدوا لمغادرة هذه المدينة التي انتعشت فيها التجارة وازدهرت في السنوات الخالية. واول خبر وصل عن دير ياسين روى كيف كان الجزارون يشقون بطن المرأة الحامل ويمزقون حناجر الاطفال ويطوفون بجثث القتلى عند باب الساهرة.. واذاعات العرب وبريطانيا العظمى ترعب قلوب الناس بما سيفعلة اليهود للعرب الذين سيبقون في بيوتهم.. كانت مدافعهم تقصف المدينة من عمارة البرج, هرب اليهود لمنطقة الهدار.. وظل العرب تحت القصف المركز, وصرير المدافع.. وسمعوا نداءات تقول لهم: ابقوا في بيوتكم ولا تغادروا الوطن! لكن المدينة الحالمة افزعتها "بومباية" (قنبلة) سقطت على المحطة, واخرى على الساعة التي كانت "تشبة ساعة لندن", واخرى على شكل برميل معبأ بالبارود دحرجوه على الدرج النازل الى وادي النسناس واخرى.. واخرى.. وأخذ جيش الهاجانا ينظف الاحياء العربية من أهاليها.. "كان الانجليز يدخلوا على البيوت ويسألوا: بعدكم قاعدين؟ اليهود راح يدبحوكم اذا بقيتم في بيوتكم! احملوا اغراضكم ويالله عالبور (الميناء).. الانجليز لعبوا اللعبة القذرة.. من جهة يصرحوا انهم بيدعموا الملك ضد اليهود ومن جهة ثانية ما تركوا قطعة سلاح الا وسلموهم اياها..وكانوا يساعدوهم على تهجيرنا.. كل ما شافوا عربي كانوا يسوقوة للجمارك.. جمعوا العرب عند المينا واغلقوا عليهم خط الرجعة..وصارت هالقوراب تحمل وترمي في صور وصيدا, الناس كانت مرعوبة.. من الاخبار اللي سمعوها عن معاملة الجيش.. تركوا بيوتهم مثل ما هي..الخبز في الفرن.. والطبيخ عالنار..السوق تركوة مفتوح, صارت توصل سيارات وتحمل في البضاعة, نهبوا كل شيء القمح والاكل وادوات الكهرباء.. وهدموا بيوت جديدة وباعوا حديدها وحجارها للناس.. أنا وزوجتي واولادي تخبينا في دار القلعاوي.. قلت: واللة باقي حتى لو ذبحوني أنا واولادي وعملوا منا سرسيسوا.. كنا نبعث الولد ناحية الحسبة ليطل على جيوش الملك عبد اللة اذا وصلت مثل ما وعدنا.. العلامة على رؤوسهم طاقية فيصلية وعلى رأسها حربة.. لا شفنا طواقي ولا يحزنون.. راحت علينا وعلى اللي ركبوا في الشخاطير.. بعد يومين رجعت على دارنا, لقيت الدار فارغة وما فيها شيء.. شفتة في عيني.. كان ختيار سكانجي فرغ الدار وما ترك فيها غير ورقة النفوس.. قلت في نفسي, يالله, على الاقل حافظوا على اسماء اولادنا".

حيفا لم تمسح من خريطة هذا الوطن.. لكن معالمها تتغير وتتبدل, حيفا عتيقة وحيفا جديدة.. واحدة نعرفها نحن وواحدة لا يعرفها الا أولئك الذين تمر في ذاكرتهم ايام البوابة الشرقية وسوق الشوام وبندر التجار والقشلي.. كما مرت السنوات الطويلة.. نذكر الكثير وفي الذاكرة تهترىء أكثر الاشياء.. تختفي.. يأكلها صدأ هذة الايام, تتحول الى صور وخيالات تنخز في القلب وتجرح العاطفة, وماذا نطلب من شيخ تشقق وجهة, وينتظر قدوم الساعة الى أن يفرجها ربك مع "هال.. حرمونا نعمة الحياة, وقطعونا, ومزقونا وشتتوا أولادنا..

وكيف يمكن ان نسجل كل شيء عن حيفا؟ قلنا, نذكر القليل, القليل, لعل شيخنا العربجي ينبش معالمها المخفية, في الذاكرة, او أطلال جامع الجيني أو حمام الباشا الذي تلمع على سطع قبتة نتوءات الزجاج الازرق كلما طلعت الشمس ومسحت خيوطها عمود فيصل الرخامي , الذي اقيم على قبر الشيخ مبارك.

"أهالي حيفا القديمة, كانوا فقراء, حجارة وصيادين سمك.. كانوا يقلعوا الحجار من وادي رشميا ويبيعوها, وبعدين لما جاء الانجليز, ووسعوا البور (الميناء) صارت العالم تشتغل في البور.. رفعت كان صياد ماهر, "قش منه وقدام" كان عندة حمار أسود, يوقف على ظهر الحمار, ويمد نظرة للبحر, كان يشوف أفواج السمك جاي, يرمي شبكتة, ما تفلت منة ولا سمكة.. راحت الايام واجت الايام, وهالبحر صار يجيب ناس ويقذف ناس, "ولانشات" دار أبو زيد تحمل هالعرب..

لوين؟ لمينا عكا

لوين؟ لمينا بيروت..

لوين؟ لمينا صيدا..

لوين لجهنم الحمرا.."

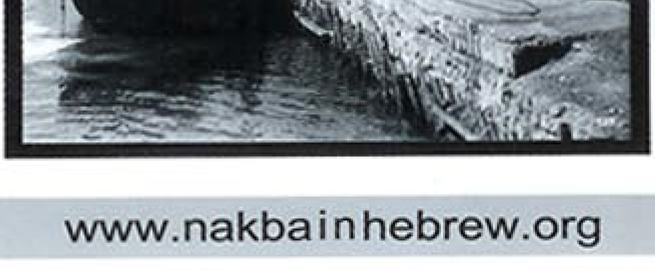

עדות מספרו של סלמאן נאטור "מא נסינא" לא שכחנו

השייח' מקומט הפנים הולך ולצידו הולכות שנות המאה הזו. הוא נסוג, והשנים מתקדמות, לאט אך בכאב, בצער, ביגון.. מתעורר עם זריחת השמש..עוזב את הבית..והולך לו ברחובות חיפה: י.ל.פרץ, הנביאים, מנדלי מוכר הספרים, אברהם אבינו, שרה אמנו.. שמות שאין לשונו יכולה לבטא.. רחובות שאין רגליו יכולות לצעוד בהם.. מחפש ספסל בגינה.. סובבים אותו חבריו. כשהיה עגלון במסילת מכה, בחיפה חבריו היו בונים את ארמונותיהם בבגדאד ואלכסנדריה וילדיהם, בעודם על ספסל הלימודים, הכינו את עצמם לתפקיד ניהולי במחלקת תעודות הזהות ברשות ההגירה.

כשאומרים: מלחמת שנת 14' (מלחמת העולם הראשונה).. הוא אומר: הייתי בן 14.. כשאומרים מלחמת הנכבה הוא אומר: הייתי בן 48 ומוסיף: "באותו היום תותחיהם היו על המגדל, וירו פצצת גפרית צהובה על השעון של מסגד ג'ריני והשעון נפל, אמרתי: 'נפל השעון, נפלה המולדתי'.. והלכתי לחפש את שותפי, אברהם שמידו, אבל הממזר כבר מכר את החנות ואת השותפות"...

"שכונת הדר הייתה מלאה בכרמי ענבים של משפחת אלח'מרה, ובית סלאם ואלהואש..קנה אותו נציג הקרן הקיימת שהיה לו משרד ברחוב סטנטון..הוא קנה את תל אלסמק ואלעזאזיה ומסר אותן ליהודים.. עזר להם מושל המחוז ברומזה.. הם פתחו משרדים והחלו לקנות את הארץ, הספסרים והפיאודלים מסרו להם את הזול והיקר. הברון קנה אפילו את זמארין ואת המושבה הגרמנית, שהייתה שייכת לגרמנים עוד מימי התורכים, אחרי שבא קיסר גרמניה 'מקטרתי' (וילהאם גליום) ועלה על החוף.. ברגע שהגיע ביקש את "אלמוארס" ממנהלת עכו כדי לתת אותה לגרמנים שהגיעו לפניו..והתושבים החלו למדוד את האדמות בחבל.. ולאחר מכן עלה על העגלה של ג'ורג' סוס ונסע לירושלים..הגרמנים עבדו כאיכרים ועגלונים, כמונו כמוהם, וכשסללו את הדרך לירושליים הנשים שלהם החלו לעבוד על העגלות ולהוביל תיירים. הם התמקמו בכרמל, שם גר איש בשם קלר, ואחריו שניידר..ואחריהם הנזירות... הם קנו את "אם אלעמד" ובית לחם מאיש בשם תויני ומכרו אותם למשה חנקין איש הקרן הקיימת..אנחנו העניים והפשוטים לא ידענו איך הארץ נעלמה, כשהעניים הרימו את קולם היו שוברים להם את הראש.. השכן שלי בשכונת הכנסיות היה השייח' עז אלדין אלקסאם..במקור מא-לאד'קיה.. הוא היה עני, איש פשוט ואדוק, הוא ניסה להחזיר אותי בתשובה ולהטיף לי..כי הייתי שותה הרבה.. כל השייח'ים היו נגדו: חג' ח'ליל וחסן בק ואבראהים בק וסלימאן בק אלסלאח ואלחג' עבדאלה, כולם היו נגדו.. כי הוא איש פשוט, איש מלחמה, שרצה לשחרר את הארץ, כל אנשיו היו אכרים פשוטים ועניים, הוא קיבץ אותם מכל המקומות.. מבינינו העניים... האנשים הפשוטים.. רצחו אותו האנגלים.. הוא וחבורתו, קצרו אותם ביעבד..השייח' זכרונו לברכה היה נאמן לחבריו.. באוהים לבקים ולבאשות)תארי כבוד זכרונו לברכה היה נאמן לחבריו.. באלוהים לבקים ולבאשות (תארי כבוד עת'מאניים) אין מצפון, בחיי אלוהים .. כולם גנבים, אפשר לקנות אותם במחיר של כפכף..לפני שתפסו את השלטון היה לי חבר יהודי שנקרא דוד כהן שעבד אצל אהרונסון.. באחד הימים קרא לי.. הלכתי אליו והוא אמר לי "אתה לא יודע! לקחנו את הארץ.. תביא את הילדים שלך לזמארין!"

סיפר לנו הזקן מקומט הפנים על סאחת אלחנאטיר, שהייתה כמו תחנת מוניות, העגלות והכרכרות מחכות.. נוסע מגיע לתחנה משלם עשר אגורות ועולה, נוסע לאם אלג'מאל.. לאלח'רביה..לאליג'ור..לאלמראח..לברקיה.. היה עולה והיינו מסיעים אותו"..

הזכירו את אלח'דר (מערת אלייהו): התקרבה אשתו וספרה לנו את הסיפור הבא:

"באחד הימים הינו באלח'דר, הגיעו מבקרים מכל המקומות, שחטו כבשים, שתו גלונים של עראק והחריבו עולמות.. אחרי שאכלו ושתו ירדו לים.. נכנסו מבולבלים והתחילו לטבוע.. החלו האנשים לצעוק, אחת בעלה בים, והאחרת אח שלה.. והזקנים המסכנים התחילו להתפלל: בבקשה ח'דר, תציל אותם ח'דר!

פתאום ראו אדם בסירה באמצע הים.. התחיל להביא את האנשים אל החוף.. הולך וחוזר..באלוהים חמשה סיבובים..ואחר כך נעלם ולא מצאו אותו.. גרגר מלח ונעלם .. שיברך אותו אלוהים..האנשים התחילו להגיד: זה ח'דר..איש לא טבע..אחר כך שרו ורקדו ושרקו..ואף אחד לא ישן באותו הלילה.. היה ערב שאין כמוהו"..

לא נתן לה להמשיך לדבר..אמר: ח'דר חי ! ח'דר חי!

הייתה מערה.. בא אסעד ח'דר ובנה סביבה.. נבנו בניינים יפים במקום הזה הצופה לים.. אבל אף אחד מאלה שביקרו באתר הקדוש הזה לא ציפה שיום אחד יגיעו לחיפה חדשות על דיר יאסין ו"מחיר הגבר יהיה שווה לכדור רובה."

"היינו.. לא ידענו איפה אנו עומדים..אומללות ואובדן.. האנגלים טרפו אותנו וגם היהודים טרפו והמנהיגים שלנו טרפו אותנו.. מלה משלחת אותנו ומילה מחזירה אותנו.. לא לימדו אותנו שום דבר מועיל מלבד לצעוק " החג' אמין – חרב האמונה"... ואת מה שקרה אחר כך לא היו סובלים אפילו הקופים..

היה זה באפריל 1948.. בתשעה עשר לחודש נפלה חיפה. חיילים בריטים אספו את מטלטליהם לאחר שמסרו את נשקם לכוחות "ההגנה", והתכוננו לעזוב העיר בה פרח ושיגשג המסחר בשנים עברו. הידיעה הראשונה על דיר יאסין סיפרה כיצד טבחו, שיספו בטני נשים, גרונות

ילדים והתעללו בגופות המתים... תחנות השידור הערביות והבריטיות מלאו את לבבות האנשים בפחד ממה שיעשו היהודים לערבים שישארו בבתיהם... התותחים שלהם הפגיזו את העיר מבניין "אלברג'", היהודים ברחו לשכונת הדר... והערבים נותרו תחת הפגזה מרוכזת, ורעם התותחים... הם שמעו קולות קוראים: "השארו בבתיכם ואל תעזבו את המולדת!" אך את העיר החולמת רוקנה פצצה שנפלה על התחנה, ונוספת, שהרסה את השעון שהיה דומה ל"ביג בן", ופצצה נוספת, בצורת חבית מלאה באבק שריפה שדורדרה במדרגות היורדות אל ואדי נסנאס, ונוספת... ונוספת... "צבא ההגנה" החל "לנקות" את השכונות הערביות מבניהן... האנגלים נכנסו לבתים ושאלו: "אתם עוד פה? היהודים ישחטו אתכם אם תשארו בבתיכם! קחו את חפציכם ויאללה, לנמל..." האנגלים שחקו משחק מלוכלך... מצד אחד הכריזו שהם תומכים במלך נגד היהודים, ומצד שני, מסרו לידי היהודים את כל הנשק שלהם, וסייעו להם לטרנספר אותנו.. כשראו ערבי היו מוסרים אותו לידי המכס... אספו את הערבים בנמל, וחסמו את דרכי החזרה, והאוניות היו מעמיסות ופורקות בצור וצידון, האנשים היו מבועתים... מהחדשות ששמעו, מיחס הצבא... עזבו את בתיהם כפי שהם... הלחם בתנור, התבשילים בסירים... השוק נותר פתוח, מכוניות החלו לבוא ולהעמיס סחורה, בזזו את הכל, את הקמח, האוכל ומכשירי החשמל... הרסו בתים חדשים ומכרו את הברזל והאבנים לאנשים... אני, אשתי וילדי התחבאנו בבית משפחת קלעאווי... אמרתי: בחיי אלוהים, אני נשאר גם אם ישחטו אותי ואת ילדי ויעשו מאיתנו ממרח... שלחנו את הילדים להציץ האם הגיעו צבאות המלך עבדאללה כמו שהבטיחו לנו... סימנם של צבאות אלו – הם חובשים כובע פייסלי ועליו סיף... לא ראינו כובעים ולא שום דבר... הפסדנו הכל, אנו ואלו שהפליגו בספינות... אחרי יומיים חזרתי לביתי, מצאתי אותו ריק... ראיתי במו עיני... זקן אשכנזי רוקן את הדירה והשאיר בה רק את תעודות הלידה... אמרתי לעצמי, יאללה, לפחות הותירו את שמות ילדינו".

חיפה לא נמחקה ממפת המולדת... אך כל מאפייניה השתנו, חיפה עתיקה וחיפה חדשה... זו שאנו מכירים וזו שמכירים אותה רק אלו הזוכרים את ימי השער המזרחי ושוק אלשואם ושוק סוחרי אלקשלי... עברו שנים ארוכות... אנו זוכרים דברים, אך דברים רבים יותר נשכחים... נעלמים... הם נעכלים על ידי חלודת הימים, הופכים לתמונות ודמיונות הדוקרים את הלב ופוצעים את הרגש, ומה נבקש מזקן שפניו מקומטות, המצפה לשעה בה אלוהים ישחרר אותו באמרו "... מנעו מאיתנו את הנאות החיים, שברו אותנו, קרעו אותנו ופיזרו את ילדינו..." איך נוכל לרשום את הכל אודות חיפה? אמרנו, אנו זוכרים מעט, מעט, אולי העגלון הזקן יחפור את מאפייניה הנסתרים מזכרונו, את מסגד אלג'ריני או את חמאם אלבאשא שעל הכיפה שבראשו מבריקים חרכי זכוכית כחולה כל פעם שהשמש זורחת על עמוד השייש של פייסל.

"תושבי חיפה העתיקה היו אנשים פשוטים ועניים, סתתים ודייגים... הם חצבו אבנים בואדי רושמיה ומכרו אותן, ואחר כך, כשבאו האנגלים והרחיבו את הנמל, החלו לעבוד בנמל... רפעת היה דייג מוכשר "שאין כמוהו", היה לו חמור שחור, הוא היה רוכב על גב החמור ומביט אל הים, ורואה את נחילי הדגים באים, כשהשליך את רשתו לא הצליח לברוח ממנה אף דג... הימים הלכו ובאו, ועל הים באו אנשים וגורשו אנשים והאוניות של משפחת אבו זייד העמיסו את הערבים...

לאן? לנמל עכו

לאן? לנמל ביירות...

לאן? לנמל צידון...

לאן? אל אש הגיהנום..."

لوحة للفنان عبد عابدي، من مواليد حيفا 1942

יצירתו של האמן עבד עאבדי – נולד בחיפה ב–1942